# سلسلة الروايات العثمانيه

﴿ مجلة روائية تاريخية غرامية ﴾

(لصاحبها)

﴿ جورجي سعاده ﴾

« السنه الاولى » « العدد الخامس »

تكرم حضرة الاديب والشاعر اللبيب خالد افندي
رامز مدرس اللغه العربيه والتاريخ بمدرسة التوفيق بطنطا

بهذين البيتين تقريظا

تجلت على القراء بكرا مصونة
أغار على التاريخ في وضعها القلم
فلا تقنعوا منها بظاهر حسنها
بلى فانشدوا اسرار المواعظ والحكم

# رواية

# ﴿ مهارة سرور او بوليس دمشق السري بمصر ﴾

## الجزء الخامس

( تأليف )

﴿ سعاده بك مورلي ﴾

احد مستخدمي الدولة العثمانية سابقا

( صاحب المجله )

﴿ جورجي سعاده ﴾

---

مطبعة النجاح بمصر

## ﴿تتمة الكلام﴾

قلت ـ وايما تفضل دمشق أم الاستانة فنظر الى قليلا كأنه يريد ان يقرأ ضميري وقال سائلا اياي ذات السؤال

وايهما تفضل انت ياأبي

قلت ـ أفضل دمشق

قال ـ ولماذا

قلت ـ لانها الوطن العزيز

قال ـ وانا افضلها أيضاً وان تكن الاستانة اجمل

قلت ـ هل مررت ببساتين دمشق وحدائقها الزاهرة

قال ـ نعم وقد شممت رائحة ازهارها المنعشة

وفطنت وقتئذ ان الشيخ البكري يريد ان يري رضا فارسلت واحضرت الياس افندى وسلمته اياه يداً بيد وارسلت معهما ديلاور و فيروزاغا للمحافظة على رضا فتوجهوا الى منزل الشيخ وقدموا له رضا فضمه الي صدره وقبله وبكي

فاندهل رضا اذ لم يكن يعرف الشيخ وكان لا يتجاوز التاسعة من سني حياته واراد التخلص منه فلم يمكنه الشيخ فبكي رضا وعبثاً حاول الشيخ استرضاءه والتزم بان يتركه

ورجع رضا مع الياس افندى وديلاور وفيروز وقد تغيرت هيئته واصابته حمي شديدة لم يعلم سببها فاسرعت واحضرت امهر الاطباء فقرروا بعد فحصه انه مصاب بحمي تيفوسيه وان حياته في خطر

وما أتت الساعة العاشرة عربية من ذلك اليوم الا واشتدت الحمي عليه فامرت الخدم بان تأتى باطباء اخرين

وقبل الغروب كان في المنزل تسعة عشر طبيبا فقرروا جميعهم ان حياة رضا في خطر

فكدت ان افقد شعورى ولم اعدأعى لما اقوله لاني كنت اعيش واحب الحياة لاجل رضا

وفي العشاء أتى فؤاد باشا ليعود رضا اذ بلغه انه مريض فوجدني في السلاملك ابكي كالاطفال فاخذ

يذهب مابى من الحزن ولكني كنت كمن غرق في بحر

وقبل خروج الاطباءمن المنزل عينوا اثنين ليبقوا

في غرفة العليل حتى الصباح

وكنت كل برهة تمر احسبها شهرا فادخل غرفة

رضا ولسأل الطبيبين منه

ومضت تلك الليلة ولم اذق انا وفؤاد باشا النوم

ولما أشرقت الشمس في صباح اليوم الثاني حضرت

الاطباء وفحصت رضا فقررت ان لايمضى ذلك اليوم

الا وتفارق روحه الجسد

فغبت عن صوابى ولما عدت الى وعي وجدت

الاطباء حولى وقد نضحوا على وجهي الماء وشمونى

المنعشات

وبينما أنا في تلك الحالة والاطباء حولى واذا بديلاور

قد اخترق المجتمعين حولى والتفت الى وقال

سيدي بالباب شاب يدعي انه طبيب وقد طلب

ان يرى ولدكم رضا

فسأله فؤاد باشا قائلا

وابن هو

أجاب ـ انه بغرفة الاستقبال

قال ـ اسرع به الينا

ولما عدت الى نفسي رأيت امامي شابا جميلا
لا يتجاوز الواحد والعشرين من العمر وسمعت فؤاد
باشا يكلمه قائلا

هل حضرتك طبيب

اجابه الشاب

نعم ياسيدي

قال اين درست الطب

اجاب ـ في القصر العيني بمصر

قال ـ متي اتيت دمشق

اجاب ـ منذ شهر فقط

قال ـ وهل معك شهادة تسمح لك بالاشتغال
في صناعتك

اجاب ـ نعم

واخرج الطبيب شهادة رسمية من جيبه وناولها

الى فؤاد باشا ففحصها وقال

اسمك الطبيب سمعان ...

اجاب ـ نعم

وكنت انظر الى الشاب وانا لا اصدق انه يقدر

ان يفيد رضا لان امهر اطباء دمشق قررت بانه سيفارق

الحياة في مساء ذلك اليوم

واخذ فؤاد باشا بيد الطبيب سمعان وادخله على

رضا ففحصه فحصا دقيقا ثم تبسم

فردت تلك الابتسامة لي الروح وامسكت بذراع

الطبيب وهززته بعنف وقلت

اخبرني كيف حال العليل

فابتسم ثانيا وقال

لا يزال لي أمل بشفائه فاعتمد على الله وعلي

فقال فؤاد باشا

ألا خطر على حياته ايها الطبيب

اجاب ـ لا يزال بعض الخطر ولكن لا كما سمعت

قال ـ وماذا سمعت

اجاب ـ بلغني ان الاطباء قطعت الرجاء منه ولكن الحالة لا كما توهموا

قال ـ وهل تتعهد بشفائه ايها الطبيب

اجاب ـ كلا لا اتعهد لان الموت والحياة بيد الله ولكني اتعهد بان ابذل جهدي لشفائه وعلى المولى البقية

وحرر الطبيب ورقة وسلمها الى احد الخدم ليأتي بالعلاج ولف قطعة كبيرة من الثلج بقطعة من القماش ووضعها على رأس رضا وامر الخدم بان يأتوه بوعاء مملوء لبنا « رايب » شديد الحموضة

وجلس بجانب العليل واخذ يصب في فمه الملعقة بعد الاخرى من اللبن ويعقب منه العلاج ويضع من آن الى اخر ميزان الحرارة تحت ابطه

ولم يمض على ذلك ثلاث ساعات حتي تهلل وجهه وكان ديلاور وفيروز آغا جالسين في الغرفة لا يفارقان رضا البتة فاسرعا الي الطبيب اذ رأياه يبتسم وسألاه عن صحة العليل فاجابهما

اذهبا وطمئنا على بك والده فقد زال الخطر

ولم يكن البطبيب يعرفني بغير هذا الاسم في ذاك الوقت

فاسرع الخادمان الى واخبراني بما قاله الطبيب فاسرعت واردت الدخول الى غرفة رضا لاراه فمنعني ديلاور وقال

لقد حذرني الطبيب من دخول أي انسان كان الى غرفة سيدي رضا

فامرته ان يدعوه كي استفهم منه عن صحة رضا فلبي الامر ودخل الغرفة وخرج به فقال الطبيب اذ رآني

هات البشارة ياسيدى على بك

قلت — لك ماشئت فكيف حال رضا

اجاب ـ انه يتقدم الي الصحة. ولا خطر على حياته البته والان اتعهد لك بشفائه على شرط ان لا يدخل هذه الغرفة طبيب اخر وان لا يحدث ما يقلق العليل

قلت ـ لك على ذلك ايها الطبيب وسا كافئك مكافأة عظيمة متى شفي رضا

ورجع الطبيب الى غرفة رضا ورجعت أنا الى حيث فؤاد باشا كان جالسا

وقد كتب لي واذ خلوت من المشاكل الشخصية فاني لا اخلو من المشاغل والمشاكل السياسية وبالعكس اذ ما كادت افكارى تروق من جهة رضا حتى خطر على بالى ان الاسطول الفرنساوى الذي قام من فرنسا قاصداً بيروت

وقد اذاع رجال السياسة أن فرنسا تريد قمع الثائرين ليس الا ولكن في الحقيقة كانت تريد احتلال سوريا اذا مكنتها الظروف

فالتفت الى فؤاد وكان سابحا في بحار الافكار وقلت كان بودي أيها الوزير ان أسافر الى الاستانة لامنع احتلال دولة فرنسا لسوريا ولكن أخرني عن ذلك مرض ولدي رضا

وتاخيرى عن السفر سيفسح الى فرنسا المجال لاحتلال سوريا ولكنى ساخرجها مرغمة دون ان تشعر والاوفق ان تسافر ايها الوزير الى بيروت قبل

ان تصل عمارة فرنسا البحرية اليها وتجهز مكانا لنزول جيشها وتمنع اهالى بيروت والجهات المقاربة والمجاورة من الهيجان والتعدي وتستقبل رؤساء وقواد الجيش بلطف ونظهر لهم الوداد حتى ارسل لك التعليمات

قال ــ هل أتاك امر من الاستانه بذلك

وكي لا يفترضني قلت له

نعم

تلقي فؤاد باشا الامر وسافرا في اليوم الثاني الى بيروت

وبقي رضا طريح الفراش وطبيبه سمعان ملازم له مدة عشرين يوما فصار قادرا على الخروج

وبينما انا ورضا نتحادث لاخفف مابه اتاني نبأ برقي من فؤاد باشا مفاده ان العمارة الفرنساوية وصلت بيروت وانا قائدها يريد انزال الجيش الى البر

فخابرته بلسان البرق ان لايعترضه

ففي ١٠ اغسطس نزلت العساكر الفرنساوية الي البرتحت قيادة الجنرال « دوبول » فوجدت السكينة

ضاربة اطنابها في ربوع سوريا ولم تجد سبيلا الى عمل
أي حركه عسكريه

وكان رضا قد تقدم في الصحة فاردت السفر به
الي الاستانة كي ادبر امراً لاخراج الفرنساويين من
بيروت فدعوت طبيبه سمعان وعرضت عليه مسألة
سفر رضا فقال ان سفره يفيده اذا اعتني به

فدعوت الطبيبين اللذين كانا يساعدان سمعان
لتطبيب رضا وكافأتهما وصرفتهما

وطلبت الطبيب سمعان وقد سرني مهارته في
فن الجراحة وعرضت عليه بعد مكافأته ان يكون طبيب
الدائرة وملازما لرضا واعلمته بنفسى

فسر الطبيب الشاب وقال

أني لى ان اخدم أعظم رجل في دولة ال عثمان

وبعد ان اعددت معدات السفر قصدت الشيخ
البكرى وودعته وكان لايخرج من منزله الا نادرا
نظرا لكبر سنه

وفي اليوم الثاني سافرت اناوولدي وطبيبناسمعان

والحاشية الى بيروت ومنها ركبنا السفينة الحربيه العثمانية المسمات «السليميه» الى الاستانة

وقصدت تواً المابين وقابلت جلالة السلطان وشرحت له ماحدث من المذابح وسفك الدماء ونهب الاموال وهتك الاعراض في سوريا وماتم من الاصلاح واحتلال الجنود الفرنساوية

فارتبك جلالة السلطان وخشى عاقبة نزول الجنود الفرنساوية في سوريا وقال

دبر ماشئت لاخراج العساكر الفرنساويه من سوريا واتحد مع عالي باشا الصدر الاعظم ولو كلف الخزينة العامرة الاموال الطائلة

قلت ـ لاتوجس شرا من احتلال الجنود الفرنساوية

قال ـ كيف لاوجس شرا فقد تحتل فرنسا البلاد

قلت ـ كلا فاننا نخرجها رغما عنها

قال ـ وكيف

قلت ـ دولة انجلترا طامحة بانظارها الى سوريا وطامعة في احتلالها

قال ـ اذن فيوجد لفرنسا نقيض

قلت ـ هو ذاك يامولاي

قال ـ صدقت

قلت سأكون انا اليد العاملة وانكلترا اوبالحري الدول عمومها تكون الاله ادبرها بيدي كما اشاء ولا يكلفنا الامر مبلغا عظيما

قال ـ حسنا اذهب ودبر الامر مع عالى باشا وصرفني جلالته فخرجت من لدنه وقصدت الباب العالى واختليت به مدة شرحت له فيها الاحتلال واعطيته التعليمات كي يسير بموجبها مع سفراء الدول

فقصد عالى باشا منزلا اجتمع فيه سفراء الدول واخذ معهم في الاتفاق وبعد عشرة شهور قرروا بان الدولة العلية تدفع الى المنكوبين خمسه وسبعين مليونا غرشا تعويضا عما نكبوا به

وان يمنح جبل لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية ويعين لها حاكم مسيحي ينتخبه جلالة السلطان من رعاياه الامناء بمصادقة الدول

وبعد ان تم هذا الاتفاق انسحبت الجيوش الفرنساوية من بيروت في ٥ يونيه سنة ١٨٦١

وقد كان هذا التساهل احجافا بحقوق جلالة السلطان ولكنه السبب في اخراج الجنود الفرنساوية اذ لو بقيت لانسلخت سوريا من املاك الدولة العلية

وتكدر جلالة السلطان من تساهلي فارسل ودعاني اليه وقال

ماهذا الاتفاق ايها الوزير وما هذا التساهل

قلت — هذا غاية ماقدرت ان افعله لمنع الاحتلال

قال — انا لااعترف بانك أمين للدوله بعد هذه المسألة التي أجحفت بحقوقها

لو لم تكن خائنا لما تحرر لبنان ولما كنا خسرنا خمسة وسبعين مليون غرشا

قلت — ولكنك يامولاي السبب في ذلك

فتغيرت هيئته ونظر الي بعين الغضب وقال

كيف فسر كلامك لاني لاأحب الالغاز

قلت لو أتممتم وصية والدكم لما حصلت تلك

المذابح وما خسرتم الملايين من النقود وابقيت أهالى لبنان تحت ادارة حكمكم كما كانت عليه قبلا

ولكن طمعكم فى السيادة المطلقة وسماعكم لوشاية الواشين الذين لايهمهم ان خربت الدوله أو عمرت جرالبلاد الي الويلات والخراب

ومع مافعلته لرفع شأن الدولة فقد اوصمتموني بالخيانة مكافأة لى على اتعابى

فاتعهد لجلالتكم أنى اترك الاشتغال بالسياسة بل واتناساها أيضا واخرج من الاستانه الى بلاد أقضي فيها بقية هذا العمر

فاستشاط جلالته غضبا وطردنى من لدنه فخرجت من عنده وأنا أحسب الف حساب لغضبه

ووصلت منزلى وجلست فى احدى الغرف منتظرا شرا ولماذا لاني خدمت بلادى بامانه

وكنت أعد الساعات لاحسب الوقت الذى فيه يأتى الامر بالقبض على واعدامى في منزلى لان غضب السلاطين والملوك لا يستهان به

وكنت اقضي اكثر اوقاتي مع ولدي رضا كي اودعه ظنا مني ان جلالته لا بد ان يتأثرمني لاني وبخته على تهامله في راحة العباد

وكم قضيت من الليالي اراقب نجوم السماء واسبح بنظري في الفضاء كاني اودع هذه الدنيا المملوءة بالشقاء التي لم اقض فيها منذ اشتغلت بالسياسة يوما بهناء

وبقيت في منزلي عدة ايام لم اعلم عددها لاستسلامي الى الهواجس فلم اخرج منه بل سجنت فيه نفسي بنفسي خوفا على حياتي

ولطالما تصورت ان الشرطة احاطت بمنزلي كي تمنعني من الهروب حتى يأتي الامر باعدامي

وانا كذلك أتاني الخبر بان جلالة السلطان توفى الى رحمة ربه وكان ذلك في ٢٥ يونيه سنة ١٨٦١ أي بعد انسحاب الجيوش الفرنساوية بعشرين يوما

والسبب في موته حمى شديدة اصابته بعد خروجي من لديه لما حصل له من الغيظ ولم تنجح الاطباء في تطبيبه وبقى مادار بيني وبينه في طي الكتمان وزال

بذلك الخطر على حياتي

ولما بلغني خبر وفاته اسرعت الى السراي وبقيت فيها حتى واروه التراب رحمة الله عليه

وفي اليوم الثاني لوفاته جلس على عرش السلطنة السلطان عبد العزيز فطلبني اليه وعرض الي منصب الصدارة العظمى فرفضت قبوله واشرت عليه ان يبقي عالي باشا صدراً اعظم لانه اهل للمنصب

وذكرت جلالته بوصية والده في رفع المظالم عن الامة وابعاد الظالمين المقاومين للاصلاح والاجتهاد في منح الدستور للامة العثمانية

فوعدني جلالته باتمام الوصية وابقى الوزارة كما هي الا رضا باشا ناظر الجهادية فان جلالته عين بدلا منه نامق باشا وهو من مشاهير العثمانيين المحبين للاصلاح وامره بان يجتهد في عمل ما فيه راحة الرعية

وارتاحت البلاد من المظالم والظالمين عدة اشهر فاوجست دول اوربا خوفا من الدولة

فانه اذا تم الاصلاح فيها يقضي على اطماع الدول

في بلادنا فعولت على ايقاع النفور والشقاق بين الولايات

فدست دسائسها في ولايات البغدان والفلاخ والصرب والجبل الاسود ولكني أنا وعالى باشا اجهدنا انفسنا حتى أبطلنا دسائسها

ولما رأت الدول مساعيها اخفقت ولم تفلح اغرت حزب التقهقر بمقاومة الحكومة كي لا يتم الاصلاح

واتفق هذا الحزب مع العلماء على معاكسة الحزب المساعد للاصلاح ومقاومة الحكومة بمساعدة سفراء الدول سرا

ولما رأى عالى باشا الصدر الاعظم أن الخطر شديد استقال في شهر نوفمبر سنة ١٨٦١ وتعين بدلا منه فؤاد باشا

وبقى فؤاد باشا على خطة سلفه في الاصلاح فتمكن بعد صرف الاموال الطائلة من تهدئة الخواطر ولكن مالية الحكومة بسبب ذلك عجزت حتى عجزت الخزينة عن دفع المصروفات الضرورية

فسعى بعض المفسدين ان جلالة السلطان بان عجز المالية من سوء تدبير فؤاد باشا

قام جلالته بعزله واستبدله بمحمد رشدي باشا واصدر بذلك فرمانا تاريخه ٤ يونيه سنة ١٢٦٦

وكان محمد رشدي باشا من حزب التقهقر فتأكدت انه لو بقي في منصبه لا بد ان يساعد معتمدي الدول على تنفيذ اغراضها

فقصدت المابين وقابلت جلالة السلطان وسألته عن سبب عزله فؤاد باشا

اجاب - لقد عزلته لسوء ادارته

قلت - لقد عزلت مخلصا للدولة

اجاب - كلا . وان يكن مخلصا فيكفي ان الماليه عجزت من سوء ادارته

ورأيت جلالته متكدرا من فؤاد باشا بسبب وشاية حزب التقهقر ورأيت انه من المستحيل ارجاعه عن رأيه فطلبت من جلالته ان يسمح لى بان اقضي بقية حياتى في دمشق

وكأن جلالته كان ينتظر مني ذلك فاذن لى وامرني بالسفر حالا من الاستانه

فقصدت منزلي ودعوت فؤاد باشا وعالي باشا ونامق باشا ومحمود باشا نديم وشرحت لهم مادار بيني وبين جلالة السلطان فقال فؤاد باشا

دعه يفعل ما يريد حتى تظهر له الحقيقة ويعرف صديقه من عدوه ثم تعهدوا لي بان لا يقدموا على عمل الا بعد مشورتي ويكونوا مساعدين الى جلالة السلطان حين الحاجة

وكان رضا في خلال المدة التى قضيتها في الاستانة فقد نال شهادة الحربية برتبة ملازم اول فالحقته بالسر عسكريه ( نظارة الجهادية ) فعين فيها كاتبا من الدرجة الثانية في ديوان المحاسبة ورقي الى رتبة يوزباشي

وقبل وفاة جلالة السلطان ببضعة شهور حضر احمد افندي من بغداد وصحبته ولده امين

فرحبت بها وادخلتها الحرم لان احمد افندي قد صار ه طوشي ه بسبب ما اصابه من الجارية في بغداد فلا خوف على النساء منه وامرت الخدم بان يعتبروهم كما يعتبروني

ورأى احمد افندي رضا فسأل عنه الخدم فاجابه بانه ابن احد اتباعي وتوفى والداه فربته زوجتي وعاملته معاملتها للرقيق فابقته داخل الحرم

قال الخدم ذلك حسب ما أوصيتهم لاني خشيت لئلا يعمل احمد افندى على اذيته

وكان احمد افندى بين مصدق ومكذب لان معاملتي ومعاملة زوجتي لرضا كانت بخلاف ما كان يؤمل وما كان يسمع

وكان يلاحظ حنوي على رضا وميلي اليه واعتبار الخدم له بخلاف ما كانوا يعاملون به ولده امين فغار منه واضمر له الشر

ولحظت منه ذلك فأوصيت فيروزاغا برضا داخل الحرم وديلاور خارجه ورأى احمد أفندي شدة الحرص على حياة رضا فازداد حقدا عليه وعزم على الفتك به متى وجد سبيلا الى ذلك

وكان اذا خرج رضا من المنزل تبعه ديلاور واذا دخل الحرم حرسه فيروز اغا

وطالما أجهد نفسه للفتك به خارج المنزل ولكن خوفه من بطش ديلاور وشدة بأسه منعه وقد أقسم هذا بأن يقطع أحمد افندي اربا اذا مد يده بالسو الى رضا

وكان رضا قبل أن أعود على السفر الى دمشق قد ترقى الى قائمقام ونال النشان العثماني من الدرجة الثانية

فطلبت من ناظر الجهادية ان يعين رضا بك بأحدى الوظائف العسكريه بدمشق فاجاب طلبي واصدر أمره في اليوم الثاني بنقله الى دمشق برتبه قائمقام بالعرضي الخامس ووظيفة باشكاتب المحاسبة العسكريه

وفي يوم ٢١ يونيه سنة ١٨٦٦ قصدت سراى الباشكاتب وكان جلالة السلطان فيها لاودعه واظهر له عبودتي

فوجدته لازال متغيرا على وان يكن اظهر لي اللطف وبش في وجهي وعينني مستشارا ساميا لجلالته بدمشق

فاستأذنته بالانصراف فاذن لى فخرجت وقصدت
المينـاء فوجدت عالي باشا مع نسيبي محمود باشا نديم
ونخبة وزراء الدولة في انتظارى فودعتهم والدموع تذرف
من عيناى ونزلت فى الباخرة وكان رضا واحمد أفندى
وولده امين قد سبقونى اليها

وأقلعت بنا الباخرة في ذلك اليوم ووصلنا ببروت
في ١٩ يونيه سنـة ١٨٦٦ ومنها ركبنا العربة الى دمشق

وكان استقبالنا باهرا فان والى دمشق ومشـير
العرضي الخامس فيها خرج بشرذمة من الجند والمسيق
العسكريه وخرج أكثر اهالى دمشق فالوجهاء لاستقبالى
والعامة للفرجه

وما زالوا بى حتى اوصلوني الى منزلي وتفرقت الجموع
وكان ذلك اليوم احسن وافضل يوم قضيته في حياتى
ثم انى كنت فى الاستانة مطمح الانظار لما كان لجلالة
السلطان بي من الثقة ولكنى كنت ايضا عرضة لوشاية
الواشين وفساد المفسدين ولم اسلم منهم مع اني خدمت
الدولة بأمانة

فضلت ذلك اليوم عن جميع ايام حياتي لانه اليوم الوحيد الذى قابلني فيه أهالي دمشق الوطن العزيز باخلاص وصفاء نية ولانه اول يوم تفرغت فيه من السياسة ومشاكلها

وتفرغت الى اشغالى الشخصية فاول أمر خطر على بالي الثروة العظيمة التى جمعتها بتعب

فاحضرت الياس افندي وكيلى واخبرته بحضور احمد افندي اني أوصيت بعموم املاكى واموالي الى رضا يتصرف بها كيف شاء بدون ممانع وان يكون الياس افندي تحت امره

وكنت الاحظ أحمد افندي لارى ماذا يصيربه نظرت اليه فرأيت الدم صعد الى راسه واحمرت عيناه وقال

كيف توصي بالاموال والاملاك الى عبد رق

فقلت ـ كلا فانه ليس عبدا بل هو ولدي

قال ـ احقيق ماتقول ياأخي

قلت ـ نعم

قال ـ ومتى كان لك ولد يدعى رضا من زوجتك عاقر فلم تلد ومع كل فقد أخبرتني مرارا بانه ابن احد اتباعك

قلت ـ لا يعنيك السؤال وتأكدانه صاحب هذه الثروة الواسعة ولا شريك له فيها

قال ـ ولكن يا أخي امين ابني احق بهذا الالتفات من الغير

قلت ـ أيكون امين أحق من ابني رضا . والله لقد كذبت

فتغيرت هيئة احمد افندي حتى صار كوحش ضاري وتهيأ لي انه لو قدر لبطش بي ولكنه كظم غيظه وقال

اعذرني أيها الاخ لما تفوهت به ولكن ارجوك ان لا تنس ولدي امين

قلت ـ كلا ان انساه شرطا ان يصفو قلبك الى رضا ولا تضمر له الشر وتعامله كمعاملتك لوالدك امين

قال ـ كيف لا أعامله كمعاملتي لامين وهو

عندى افضل منه

قال ذلك وخرج

وكانت عيناه محمرتان من الغيظ فتأكدت انه يقصد الضرر لرضا فاحضرت ديلاور وفيروز اغا واكدت عليهما السهر على رضا لئلا يفتك به احمد افندى

فقال ديلاور

أقسم لك بأني اجعله طعاما للوحوش اذا اساء الى رضا

وقال فيروز

وانا امزق احشاءه بهذا الخنجر

وامتضى فيروز اغا خنجرا حادا ثمينا لا اعرف كيف وصل اليه وقال ايضا انه يسعى الى حتفه بظلفه واذا ظهر منه الغدر فيكون اول مقتول بهذا الخنجر العجيب

ودخلت بعد الظهر الى غرفة مكتبي وحررت الوصية . تنازلت فيها عن الميراث الى زوجتي والدة رضا وان يكون رضا الوارث بعد وفاتها مشترطا عليها ان لا تتزوج بعد وفاتي وان لا تهب احدا شيئا والا يكون لرضا الحق

في الاستيلاء ووضع يده على الميراث جميعه بدون معارض

وفي عصاري ذلك اليوم طلبت المشير والوالي وقاضي الولاية واطلعتهم على الوصية فوقعوا عليها بصفة شهود

فطلبت تسجيلها فاخذها القاضي وسجلها فارتاحت افكاري من جهة الميراث لطمع احمد افندي في الاستيلاء عليه

وكان رضا يظن ان احمد افندي شقيقي حقيقة وعمه فكان يعامله معاملته لي ويعتبره ايما وجه

واظهر احمد افندي الحب لرضا والميل له فتركت سر حياته طي الكتمان وكنت ادعوه باخي علنا حتى تركت اهالي دمشق تعتبره وتحترمه

واعتراني المرض فيما بعد فكتبت تاريخ حياتي بيدي ووضعته ضمن محفظة وسلمته الى زوجتي حتى اذا وجدت من احمد افندي عين الغدر والطمع في الميراث تعطيه الى رضا كي يطلع عليه فيعلم منه فساد انتساب احمد افندي الي — » تحريرا في ٢١ اغسطس سنة ١٨٦٩ »

« فائق الفلاخي »

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الخامس ﴾

# الجزء الخامس

## الفصل الاول

( احمد افندى هو المزور للاشارة )

وقضى سرور أغا فى قراءة تاريخ حياة فائق باشا سبعة عشر ساعة فاذا فرغ منه هز رأسه وقال

لقد صدق الشيخ واصف فالشبهة تقع على احمد افندي عم رضا بك ولكن من هو احمد افندي وابن من وماذا كان يشتغل يلزمني ان ابحث لاعرف الحقيقة كي لا اظلمه اذا كان بريئا

وقام سرور اغا من على كرسيه وخرج من المنزل وقصد الضابطه وطلب احد اتباعه وقال له

خالد . اسرع الى حارة القنوات وابحث عن عبد الحليم اغا وائتني به

— عبد الحليم اغا شيخ حارة القنوات سابقا

— هو ذاته فاسرع واحضره

وسار تابع سرور الى حارة القنوات ليبحث عن

عبد الحليم اغا وأما سرور اغا فجلس على مقعد بقرب منضدة واعتمد رأسه بيده مفكرا في مسألة رضا

وكان يكلم نفسه قائلا

من يكون ياترى المزور للاشارة البرقية . أعمه احمد افندي . . . نعم . . . كلا كلا ... ولكنه ليس عمه وتاريخ فائق باشا يثبت ذلك . . . يثبت انه احد اللصوص المتشردين . . . من يكون أذن الفاعل . ولكن لماذا اظلمه قبل ان اتحقق الامر

وهو كذلك دخل تابعه خالد وقال

عبد الحليم اغا بالباب

ـ أدخله حالا

فاسرع الخادم الى الخارج وبعد برهة دخل يصحبه شيخ مسن منحني الظهر كقوس يعتمد على عصا غليظة

فوقف سرور اغا وتقدم من الشيخ وأسنده حتى جلس على مقعد بجانب مقعده

فقال الشيخ

لقد اعجزني الكبر ياولدي عن زيارتك

ـ اهلا بك فكان يجب علي ان لا اتعبك للحضور الي بل كان يلزمني ان اسير الى منزلك ولكن انت اعلم بكثرة الاشغال

ـ ليكن المولى معك ياولدي فانك نادرة عصرك ولولم تكن في دمشق لما كنا نأمن على اموالنا وارواحنا

ـ هل تذكر اياما فقد فيها فائق بن قايد بيك الفلاخي

ـ نعم

ـ هل فقد احد من حارة القنوات وقتها

فسكت الشيخ برهة مفكرا وقال

اظن اني اتذكر انه كان في حارة القنوات شقي مشهور قتل احمد افندي الحمصي وسرق منه مئة دينار وفر هارباً

ـ كيف حدث ذلك

ـ بعد اختفاء فائق بيومين وجد احمد افندي الحمصي مذبوحا بمنزله

وكان وقتها شمدين اغا مديراً للضبط فقصد

منزل المقتول وفحصه وبحث عن الفاعل فلم يجد له أثرا

فالتزم بان يبحث عنه في المنازل المجاورة لمنزل المقتول

وما زال في بحثه حتى وصل منزل أبو احمد المناديلي فبحث داخله فلم يجد ما يشتبه به

فصعد الى السطح فراى آثار دماء . وراى ايضا آثار يد مغموسة بالدماء على الحائط الفاصل بين منزل احمد المناديلي ومنزل احمد افندي الحمصي فاتبع اثر الدم فكان يؤدى الى بئر في منزل احمد المناديلي وفحص الحبل ظنا منه ان القاتل امسك به وهو متلبث بالجريمة كي يخرج ماء ليغسل به يديه من آثار الدماء

وامر احد رجاله بأن ينزل الى البئر ويبحث في قاعة عله يجد شيئا يشتبه به

فنزل الرجل وبقى بضع دقائق داخلها وخرج يحمل بيده قفطانا ملوثا بالدماء

فدعا شمدين اغا والدة احمد المناديلي واراها القفطان وقال

لمن هذا

اجابت ـ لولدي احمد

فسألها قائلا

واين هو

اجابت ـ منذ أمس لم يأتي المنزل ولا اعرف
اين هو الآن

قال ـ واين كنت ليلة أول امس

اجابت ـ كنت في فرح ابنة اختي

قال ـ ومتى أتيت من منزلها

اجابت ـ اتيت امس بعد الظهر

قال ـ ومن هى ابنة اختك

اجابت ـ هي ابنة مصطفى اغا الضرعتاني

قال ـ وبمن تزوجت

اجابت ـ تزوجت بابن سعيد اغا الميداني

قال ـ هل قابلت ابنك احمد لما اتيت المنزل

اجابت ـ لما اتيت منزلي وجدته نائما فايقظته
فلبس ثيابه وخرج ولم اوه بعد ذلك

قال ـ هل اخبرك اين كان ليله اول امس

اجابت ـ نعم اخبرني انه كان بفرح ابنة خالته ولما انصرف المدعوون قصد المنزل ونام فيه حتى ايقظته

ففتش شمدين اغا المنزل فلم يجد فيه مايشتبه به ولكن القفطان كان اكبر شاهد بان احمد المناديلي هو الجاني

فقصد شمدين اغا الضابطة وبث رجاله في دمشق للبحث عن احمد المناديلي

وارسل فاحضر مصطفى اغا الضرعتاني وسعيد اغا الميداني وجملة من نساء الوجهاء اللاواتي كن ليلة الفرح

وابتدأ بمصطفى اغا الضرعتاني وسعيد اغا الميداني وسألهما عن والدة احمد المناديلي فاجابا بانها كانت في الفرح ولم تخرج من منزل ابنة اختها الا اليوم الثاني

وسأل النساء فصادقن على كلام الرجلين فظهر لشمدين اغا براءة والدة احمد فافرج عنها بعد ان كان قد سجنها بمنزلها حتى يتحقق المسألة

وذهب في اليوم ذاته قايد بلك الى الضابطة واخبر

شمدين اغا باختفاء ابنه فائق في تلك الليلة التي اختفي فيها احمد المناديلي

فبذل شمدين اغا الهمة لايجاد فائق ولكن عبثا اذ ذهبت اتعابه ادراج الرياح

وسكت الشيخ عبد الحليم قليلا ليستريح وعاد فقال لماذا تسألني عن الشقي يا اغا

ـ لقد حدث ما اوجبني الى ذلك فجاوب على ما القيه عليك من السؤالات

ـ اسأل يا اغا ما شئت فاجاوبك عن كل ما اعرفه

ـ هل كان احمد المناديلي وحيد والديه

ـ نعم

ـ واين كان والده يوم الحادثة

ـ كان قد توفي قبل الحادثة بخمس سنوات

ـ أهذا كلما تعرفه عن احمد المناديلي

ـ نعم

فهز سرور اغا رأسه وقال في نفسه

ويل له فهو احمد المناديلي ... هرب من دمشق

وانه سفك دما بريئا وتخلص من القصاص بانتسابه الي الوزير فائق باشا

وسجن بالاستانه لانه اراد سلب احد العظماء وخلصه فائق باشا بعد ان قاسى الشقي عذابا لا ينسى لذته للآن

ولكنه اكرم لئيما يضيع معه المعروف فسوف تكشف الايام الآتية ماخبأته السنون والاعوام الماضية

وصرف سرور أغا الشيخ عبد الحليم وتمدد على مقعده مفكرا في مسألة رضا ولكنه انتصب فجأة وابتسم لامر خطر على باله

فنادى احد رجاله وقال له

اذهب ياعمر وائتني بمحمد علي مصطفي ساعي التلغراف الذي كان كاظم باشا قد امر بسجنه

فخرج عمر وترك سرور أغا مفكراً

فقال سرور اغا في نفسه

لاسلم سر المسألة من الساعي ... وان انكر ... ياسرور

ثم خطر له خاطر فضحك كانه اصيب بجنون وقال

كلا لا يقدر ان ينكر

وهو كذلك سمع وقع اقدام ثم ظهر داخل الغرفة محمد علي مصطفى الساعي وتابع سرور اغا فامر هذا تابعه بان يبقى خارجا وقال يخاطب محمد علي مصطفى وهو يبتسم

أهلا بك أتعرف لماذا أتى بك تابعي الى هنا

فما كاد الساعي يسمع صوت سرور حتى عرته هزة الخوف وقال ولسانه يتلجلج

كلا يا اغا

ـ سأفرج عنك اذا اصدقتني المقال وارد اليك المبلغ الذي حجزته رجال الحكومة والذى تدعى بانك ورثته من والدك

ـ سل ماشئت ياغا فأصدقك

ـ اخبرني عن الاتفاق الذى كان بينك وبين احمد افندى شقيق فائق باشا بشأن الاشارة البرقية المزورة

وكيف ابدلت الاشارة الواردة باسم المشير من نظارة الجهادية بتلك

— اني مظلوم ياآغا

— لماذا تكذب ..... أعلي أيضا تخبيء . الانكار لايفيدك وتأكد اني افرج عنك اذا تكلمت بالصدق

— أنا مظلوم ياسيدي

وكان سرور اغا يضع نظارة سوداء على عينيه ولا يرفعها الا نادرا ليغطي بها عينيه القادرتين كي يتمكن العمال من رجال البوليس وخلافهم على المثابرة على اعمالهم وتلقي الاوامر منه اذ لو رفعها لهلعت قلوبهم وخلطوا في اعمالهم

ورأى سرور ان الساعي انكر فرفع النظارة عن عينيه واقترب منه ورماه بنظر حاد وصرخ فيه بصوت مرعب قائلا

الويل لك أيها الشقي أعلى سرور أيضا تنكر

فاصابت الساعي رعشة وشعر كأن نظر سرور اغا قد اخترق اعماق قلبه واطلع على سره

فاراد ان يجيبه ولكن لسانه ارتبط

فقال سرور اغا وقد لحظ ماأصاب الساعى من الخوف

تكلم . . . قل الصدق

فقال الساعي بتلجلج

يا اغ غ غا . ارجوك . ان ترجع النظارة

ـ هل تقر بالحقيقة

ـ « دخيلك انا فقير يا اغا وصاحب عيال »

ـ اصدقني المقال وانا أفرج عنك

ـ ارجع النظارة الى عينيك

فارجع سرور اغا النظارة ورجع الى مكانه وجلس على المقعد وقال

حدثني بما حصل واياك والمراوغة

ـ الرحمة والشفقة يا اغا انا فقير الحال

ـ لقد قلت انى افرج عنك وارد اليك المبلغ اذا اصدقتني المقال

ـ لقد أغراني أحمد أفندي بان يدفع لى مائة جنيه

ــ ولماذا اغراك

ــ لاسلمه اى اشارة برقية رسمية برسم المشير

ــ وفعلت ذلك

ــ نعم ياأغا لانى فقير الحال وطمعى بالمائة جنيه جرأني على هذا العمل

فسكت سرور اغا مفكرا فظن الساعى انه يريد به شرا فصرخ

فقال سرور اغا

اذن فاحمد افندى هو المزور للاشارة

ــ نعم ياأغا انا في عرضك

فابتسم سرور اغا وقال

لا بأس لا تخف فلاجل اطفالك وعيالك سامحتك

فوقع الرجل على رجلي سرور اغا يقبلهما

فقال له سرور

اياك ان تعود الى عمل مثل هذا

ــ كلا ياأغا واذا عدت الى ذلك فاقتلنى

ــ اخرج الآن واحمد ربك وتعال بعد الظهر كي

ادفع لك المبلغ المحجوز

فخرج الساعي وهو يدعو لسرور أغا بطول البقاء

---

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

## ( البغدادى محمود زرد )

جلس سرور أغا بعد خروج الساعى على مقعده وقد تأكد ان احمد هو المزور للاشارة والمسبب لكل هذا العذاب الى رضا بك

ثم وقف فجأة واخذ يسير ذهابا وايابا في الغرفة غارقا في بحر من التأملات فخطر له خاطر فاسرع الى باب الغرفة ودعا احد اتباعه المدعو محيي الدين وكان من دهاة البوليس السري يعتمد عليه سرور اغا في حل المشاكل العويصه

فقال له سرور اغا اذ دخل الغرفه

محيي الدين كنت أرسلتك في أثر احمد افندي شقيق فائق باشا لما سافر قاصدا يافا لتعلم سبب سفره

— نعم يا اغا وقد أخبرتك انه تقابل مع رجل بغدادي بيافا يدعى الحاج محمود زرد ونزلا في فندق فيها

وقد سمعتهما يتكلمان عن أملاك الوزير فائق باشا التي في بغداد

— وقد اخبرتني انك لم تسمعهما يتكلمان بما له علاقة بتزوير الاشارة

— نعم ومع كلا فقد اتبعتهما الى الاسكندريه

— وبعد ذلك أعد على ما حدث

— رافقتهما كظلهما فكانا يتكلمان عن الاشغال التجاريه . وبقيت في أثرهما حتى افترقا

. فسافر احمد افندي الى دمشق وأما البغدادى فقصد اسكندرونه ومنها الى حلب ثم بغداد

— ومن الذى سافر قبلا أأنت واحمد افندى أم البغدادى

— بل نحن سافرنا قبله

— ولماذا بقي البغدادي في الاسكندريه

لانه لم يكن انتهى من اشغاله . وسبب سرعة احمد أفندي في العودة الى دمشق هو انه اتاه تحرير من ابنه امين يخبره فيه ان لجنة التحقيق تطلب حضوره

فاطلع احمد افندي البغدادي على التحرير واستأذن منه للسفر

- وسافر بعد ذلك
- نعم يا أغا
- واتبعته انت الى دمشق
- صدقت
- وبقي البغدادي في الاسكندرية
- نعم
- لم تتم الواجب عليك يامحي الدين
- وكيف يا أغا
- كان يجب عليك ان تتبع البغدادي لتتأكد من هو
- لقد سألت عنه عدة تجار كان يجلس عندهم فاخبروني انه تاجر تنباك وسجاد

ومع كل لم يتبين لي عما اذا كان له علاقة بمسألة تزوير الاشارة

ـ لقد تكلم كثيرا فاما انك لم تفهم حديثهما أو لم تسمع ماتكلما به أو انهما عرفاك فضحكا عليك ولعبا بك

ولكن ما لنا وما مضي فهل تتذكر هيئة وشكل البغدادى

ـ نعم يا أخاوكانى اراه امامي الآن

ـ صفه ... صورة لي يامحي الدين

ـ هو رجل اسمر طويل القامة عريض المنكبين ذو لحية بيضاء وشارب كبير

ـ وانفه يامحيي الدين

ـ معتدل

ـ وشعر رأسه

ـ بعضه اسود وبعضه أبيض

ـ وعيناه

ـ لم ارهما لانه يغطيهما بنظارة سوداء

ـ ولغته

ـ بغدادية

ـ هل هذه اوصافه تماما

ـ نعم يا اغا

ـ هل اجتمع بأحد خلاف احمد افندى

ـ اجتمع باثنين من عملاءه التجار

ـ هل عرفت محلهما

ـ نعم اعرف محل احدهما لانه كان يكثر من المكوث عنده يحادثه بخصوص التجارة

فهز سرور اغا رأسه ونظر الى محي الدين وقال انك لم تفعل شيئا بسفرك الى الاسكندرية

ـ وكيف يا اغا

ـ لقد فر الشقي

ـ من هو

ـ هو ذاك البغدادي

ـ اتعنى بقولك ان له دخل بمسألة رضا بك

ـ هو رئيس المتآمرين على هلاك رضا ... آه يامحي الدين لو كنت قبضت على ذاك الشقي لكنت ملأت لك كفك ذهبا

ـ وكيف أقبض عليه وانا لم أشتبه به

ـ هذا دليل على ان الامين اشد دهاء منك . . .
لاتتكدر اذا قلت لك ذلك

لانه يوجد من اللصوص والاشقياء من تعجز عنه
ادهى رجال البوليس السري

رضا بك الان بمصر ومتهم بجناية وسرقة . . .
أتعرف من هو الجانى الحقيقي

ـ كلا

ـ الجاني هو ذاك الشقي . . . ذاك اللص أوقع
رضا بك بتهمتين ـ تهمة المؤامرة ضد جلالة السلطان
والاخرى الجناية والسرقة التي حدثت بمصر

ولكن لماذا قصد الاضرار برضا بك ولاضغائن
بينهما . . . رشاه احمد افندي وبالاخرى دفع له اجرة
باهظة لقتل ابن اخيه

ولماذا يريد قتله . . . فيما اظن انه يريد الاستيلاء
على الميراث

ولكن لايتسني له ذلك الا بعد قتل رضا بك

أفهمت يا محي الدين . هذه هى افكارى فقد فر منك اللص . . . فهمنا كل ذلك ولكن بقى علينا ان نعرف اذا كان ذلك اللص بغدادي حقيقة ام تزيا بزي اهالي بغداد حتى لا ينكشف امره وامر احمد افندى وعلينا ان نبحث كيف عرف او تعرف احمد افندي به

وصمت سرور اغا برهة مفكرا

ووقف فجأة ونظر الى محي الدين نظرة مخيفة ارتد منها الرجل الى الوراء

ولكن ما لبث ان تلطفت هيئته وابتسم

فقال محى الدين

اطوارك غريبة يا اغا

فلم يهتم سرور اغا بكلامه لانه كان مشغولا بمسألة رضا بك بل قال

هنا نقطة واحده

ـ وما هي

ـ نعم هنا نقطة واحدة قم وادع لي يوسف اليهودي الصيرفي

فخرج محي الدين ملبيا الامر

## الفصل الثالث

«سرور اغا وبيسح الصيرفي اليهودى»

غاص سرور اغا بعد خروج محيي الدين من الغرفة في بحر من الافكار فتارة كان يسير في ارض غرفته وتارة كان يقف واخرى كان يقعد

كان يجتهد ليعرف ذلك اللص ومن كان يراه في تلك البرهة يظن انه اصيب بجنون

وهو كذلك دخل رجل متوسط القامة بوجه مقبول وبلحية مستديرة وقال

صباح الخير يا أغا

فاستيقظ سرور اغا وانتبه لنفسه ونظر الي الرجل شذرا ولكن هيئته تحولت سريعا الى اللطف وابتسم للصيرفي وقال

اهلا بالخواجا بيسح تعلى واجلس بجانبي

فتقدم وجلس بجانب سرور اغا وقال

لماذا طلبتني اتريد سلفة . كم جنيها تريد

— كلا يا خواجا بيسح دعنا من النقود

والسلفات الآن

ـ اذن لماذا طلبتني . اشغالي كثيرة كما تعلم يا اغا

ـ ما اكثر طمعك في المال ألا تفرغ عشرة دقائق عن العمل

ـ كلا يا اغا ولا دقيقة واحدة ولكن اكراما لك افرغ نفسي نصف ساعة

ـ لي بعض استفهامات ياخواجا بيسح

ـ سل ماشئت يا اغا

ـ ألا زال احمد افندي شقيق فائق باشا يضع نقوده بمصروفك

ـ كلا لا درهم له عندي الآن

ـ كيف

ـ لقد سحبهم من مصرفي

ـ ومتى كان ذلك

ـ اتذكر يا اغا يوم سفره الى الاستانة

ـ اذكره

ـ قبل سفره اتاني وطلب مني نقوده جميعها

ـ واعطيتها له

ـ لاشك

ـ وكم كان له بمصرفك

كان له الف وتسعمائة جنيه هذا خلاف ما دفعته

له بموجب وصل موقع من دولة فائقة هانم والدة

رضا بك

ـ وكم كان المبلغ

ـ أتقصد بذلك قيمة الوصل

ـ نعم

ـ الوصل كان عن الف ومائتي جنيه عثمانى

ـ هل قبض هذا المبلغ ومقدار ما كان له في

مصرفكم قبل سفره نقداً

ـ نعم قبض الجميع وسلمني بذلك وصلا

ـ الا تعلم اذا كان لديه نقودا غيرهم

ـ خلاف التي كانت بمصرفنا

ـ نعم

ـ كلا مطلقا

من اين علمت ذلك

ـ لانه كلما استحصل احمد افندي على جنيه كان يأتى به الي ليضعه بمصرفي حتى لا يضيع عليه رباه

ـ هل سحب من مصرفك نقودا منذ ابتداء في توفير نقوده عندك

مرتين خلاف المرة الاخيرة

فقد سحب في المرة الاولى في تاريخ ٢٦ اغسطس سنة ١٨٧٣ مائة جنيه عثماني وفي المرة الثانية في تاريخ ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٧٣ مائتين وخمسين جنيها عثمانيا ايضا

فاخرج سرور اغا من جيبه دفتر مذكرة وفتحه وبحث فيه وهز رأسه وقال

هذا ما كنت اود معرفته ياخواجا بيسح فلك مني الشكر

ـ ألا تحتاج الى سلفة يا أغا

ـ يظهر ان النقود عفنت عندك ياخواجا بيسح

ـ لقد أضعت نصف ساعة بدون فائدة فالى الملتقى يا أغا

ـ مع سلامة الله ياخواجا يبسح

ولما خلا سرور اغا بنفسه اغلق باب غرفته وقال يخاطب نفسه

تاريخ المائة جنيه التي سحبها احمد افندي من مصرف الخواجا يبسح يوافق تاريخ المائة جنيه التي دفعها الى الساعى محمد علي مصطفى

اذن فأخذها من الصيرفي كي يدفعها الى الساعي ثمن ابدال الاشارة الواردة من نظارة الجهادية الى المشير بالاشارة المزورة

وتاريخ اخذه المائتين وخمسين جنيها توافق تاريخ سفر احمد افندى الى يافا واجتماعه بذلك اللص البغدادى

اذن فقد اتضح لي انه سحبها من مصرف الخواجا يبسح كي يدفعها لذلك الشقي حتى يدبر على هلاك رضا بك

ولكن هل يكتفى هذا اللص بهذا المبلغ الزهيد ليسعى في هلاك رجل عظيم كرضا بك

لا اظن ذلك

اذن فدفع هذا المبلغ من اصل المتفق عليه بينه وبين الشقي

فيلزمني البحث لاعرف اذا كان احمد افندي اجتمع باللص بعد ان افترقا في الاسكندرية

وقام سرور اغا وخرج من الضابطة وقصد مكتب التلغراف وارسل اشارة برقية الى رئيس البوليس السري في بيروت وكانت كما يأتي

« رئيس البوليس السري ببيروت عزتلو افندم »

« سافر من هنا احمد أفندي شقيق فائق باشا في تاريخ ١ يناير سنة ١٨٧٤ يصحبه ولده امين وتابعه حسانين قاصدين الاستانة »

فابحثوا اذا كانوا سافروا رأسا الى الاستانة ام عرجوا على احدى الاماكن وعرفوني حالا »

« سرور »

وقصد سرور اغا بعد ارساله الاشارة سراي فائق باشا واجتمع بوكيل الدائرة وسأله عن سبب منح

احمد افندي الالف والمائتي جنيه قبل سفره الى الاستانة

فاجاب ـ لما اتى احمد افندي من يافا دخل على والدة رضا بك وطلب منها ان تدفع له مرتبه السنوي فشاورت الهانم سعيد باشا الكردي في ذلك .

فاستدعى هذا احمد افندي وسأله عن سبب طلبه مرتبه السنوي سلفا فأجاب انه عزم على السفر الى الاستانة ليجد خدمة الى ابنه امين في احدى مصالح الحكومة ويخبر فخامة الصدر الاعظم جد رضا بتهمة حفيده

فاشار سعيد باشا على الهانم بان تدفع له المرتب السنوى

ـ اذن فالسبب في سفره هو لانه يريد ايصال ما حصل ضد رضا الى الصدر الاعظم وليجد خدمة الى ابنه امين

ـ نعم هذا هو السبب

فقال سرور أغا في نفسه يا للداهية فقد أخذ النقود من والدة رضا بك ليسعى في هلاك ابنها

والتفت الى وكيل الدائرة وقال

اكتم خبر ما دار بيننا

أمرك مطاع يا اغا

ورجع سرور أغا الى الضابطه فوجد ان قد اتاها رد الاشارة التي بعث بها الى رئيس البوليس السرى ببيروت

وهاك نصها

« مدير ضبط ولاية سوريا عزتلو افندم

وصلتني اشارتكم . لقد سافر احمد افندى ثاني يوم وصوله الى بيروت في الباخرة الانكليزية التي تقوم رأسا الى الاستانة وصحبته ابنه امين وتابعه

وقد أوصلته بنفسي الى الباخرة وبقيت واياه حتى أقلعت لزم افادتكم مصطفى الكردى »

فحرر سرور أغا اشارة الى احد رجاله في الاستانة باحرف مصطلح عليها بينه وبين رجاله وكانت كما يأتي

« محمود الشاغورى في خان الشوام بالاستانة

اقصد سراي الفنار التابعة لفائق باشا واستعلم من

الخدم اذا كان احمد افندي في الاستانة مع ولده امين وتابعه حسانين ومتى وصلها ولماذا سافر اليها

واذا كان قد سافر من الاستانة فاقصد ديوان الباسابورتات وابحث سرا أي بلاد قصدها

افعل ذلك بغاية السرعة ولكن دون ان يشعر بذلك أحد ثم عرفني حالا سرور »

وفي مساء ذلك اليوم اتاه الرد وكان بالاحرف المصطلح عليها فأخذ يقرأ ما يأتى

« مدير ضبط ولاية سوريا عزتلو افندم

لما وصلتنا اشارتكم بحثنا عن احمد افندى فعلمنا انه كان بالاستانه ولكنه سافر بمفرده الى ايطاليا وترك ابنه وتابعه فى الاستانة

وقصد الممالك الاوربية لمشترى البضائع كي يشحنها الى الاستانة ليفتح فيها محلا تجاريا

وتوجهت الى ديوان الباسابورتات واستفهمت من احد اصدقائي فيه عن احمد افندى

فاخبرني بانه اخذ تذكرة مرور الى نابولي بايطاليا

في تاريخ ١٢ يناير سنة ١٨٧٤ وسافر في اليوم ذاته على الباخرة الفرنساويه لزم افادتكم محمود »

فلما قرأ سرور اغا الاشارة هز رأسه وقال

لا اظن انه سافر الى نابولي او الى فرنسا بل الى الاسكندرية ولكني اريد ان اتحقق ذلك

وحرر سرور اغا اشارة برقية الى قنصل الدوله العليـة فى نابولي بايطاليا يستفهم منه عن وجود احمد افندي هناك

فأتاه الرد من القنصل يقول فيه ان القنصلية علمت له على البسابورت الى باريس منذ خمسة وثلاثين يوما

فأرسل سرور اشارة الى معتمد الدولة في باريس يستفهم عن وجود احمد افندي فيها

فأتاه الرد ينبئ ان احمد افندي كان فيها ولكنه سافر الى لوندره منذ خمسة ايام بعد ان علمت له القنصلية على البسابورت

فخاطب سرور أغا بلسان البرق معتمد الدولة في لوندره عاصمة انكلتره يستفهم منه عن احمد افندى

فاتاه الرد بان سفير الدولة يقابل احمد افندي يوميا وانه في لوندره منذ اربعة ايام

فارتبك سرور اغا لان المخابرات البرقية أثبتت وجود احمد افندى باوربا فأخذ يمشي في غرفته ذهابا وايابا وقد استحوذت عليه الافكار فاخذ يكلم نفسه

يا للعجب احمد افندى فى لوندره . . . من الجانى اذن ومن المزور للاشارة البرقيه

اذا لم يكن احمد افندى فمن يكون اذن . . . لقد فسد على الامر . . . ولكن ربما دس احمد افندى اللص الى ارتكاب الجناية لان لا صالح للص في ايقاع رضا بك بالتهمتين

وشاه احمد افندى لان له صالح كبير فى قتل ابن فائق باشا وهو الاستيلاء على ثروة لا يحصى عددها

ولكن صبرا يا سرور . . . صبرا حتى تصلني تقارير رجالي الذين أرسلتهم الى مصر صحبة فيروز اغا وعطا افندى

## ﴿ الفصل الرابع ﴾

« ارتباك كاظم باشا ـ نادرة عن سرور اغا »

فلنترك سرور اغا في ارتباكه منتظراً ورود تقارير رجاله من مصر ولنشرح للقراء ماذا حدث بعد خروج كاظم باشا المندوب العثماني السامي من دمشق

تركنا كاظم باشا في آخر الجزء الثاني من العدد الثالث في صحيفة ١٧٢ راكبا عربة في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل قاصداً بيروت يصحبه حقي افندي ضابط البوليس السري وخمسه من رجاله

وكانت عربة البوسطة المقلة لفيروز أغا وعطا افندي يصحبها أدهى رجال سرور اغا وخليفته في الاعمال وهو فوزي أفندي وأربعة من رجاله الاشداء قد خرجت من دمشق قاصدة بيروت قبل خروج عربة كاظم باشا بما ينيف عن ثماني ساعات

وصلت عربة البوسته الى بيروت فقفز منها الى الخارج فوزي افندي وفيروز اغا وعطا أفندي والاربعة رجال

فقال فوزي افندى

اسرعوا بنا الى الميناء لنستعلم عن مواعيد سفر البواخر الى الاسكندرية

ساروا الى الميناء بملء السرعة واستفهموا من شركة البواخر عن المواعيد فاخبرهم وكيلها ان أول باخرة تقوم في اليوم الثانى هي الباخرة الفرنساوية

فاخذوا سبع تذاكر اسنين درجة أولى لفيروز وعطا وخمسة درجة ثانية لرجال سرور اغا

وقضوا بقية يومهم يتفرجون في شوارع المدينة ولما أتي المساء قال فوزى أفندي

هيا بنا الى المحطة

فقصدوا محطة العربات التي كانت تقل الركاب من المدن والقرى قبل انشاء السكك الحديدية ووقفوا في زواية على انفراد حتى صارت الساعة سبعة افرنكية مساء فوصلت عربة كاظم باشا ونزل منها هو ورجاله فتوارى فيروز اغا منه لئلا يراه فيمنعه عن السفر

وأما رجال سرور اغا فلا خوف عليهم اذا كانوا

متخفيين فلم يعرفهم كاظم باشا ولا رجاله

فقصد كاظم باشا ورجاله فندقا ونزلوا به

وأما فوزي ورجاله وفيروز وعطا افنـدى فانهم قصدوا فندقا آخر كانوا قد نزلوا به وباتوا فيه الى الصباح

فبكر فوزي افندى وقصد الفندق النازل به كاظم باشا وجلس القرفصاء مقابلا للفندق منتظراً خروج كاظم باشا او احد رجاله ليتبعه كي يعرف اذا كان المندوب السامي مسافرا معهم في الباخرة ذاتها أم في خلافها

وهو كذلك خرج حقي افندى ضابط البوليس السرى من الفندق وسار قاصدا محل الشركة

فتبعه فوزى حتى وصل محل الشركة فاخذ حقي افندي التذاكر لكاظم باشا ورجاله ورجع قاصدا الفندق

وأما فوزى فانه عاد الى الفندق الذى كان نازلا به مع فيروز اغا وعطا افندى ورجاله ودخل على الرجال وقال لهم

سيسافر كاظم باشا معنا في باخرة واحدة

فسأله فيروز اغا قائلا

من اخبرك بذلك

ـ اتبعت حقي افندى احد رجال كاظم باشا الي مكتب الشركة فرأيته قد أخذ تذاكرا له ولكاظم باشا ورجاله فيلزمنا من الآن ان نفترق ولانجتمع مطلقا قبل وصولنا مصر

ــ وما السبب يافوزى افندي

ـ خوفا من ان يرانا كاظم باشا فيأمر بارجاعنا الى دمشق تحت الحفظ

ـ ارسم لنا خطة نسير عليها

ـ هاكم خطة السير

نبتديء أولا بالافتراق من هنافتقصد انت وعطا افندي الباخرة متجاهلين معرفة احدكما الآخر

وطبعا ستجتمعان في قاعة الاستراحة في الدرجة الاولى فتتعرفان هنالك ببعضكما

ويظهر عطا أفندى بانه متوجه الى مصر لزيارة قريب له واماانت يافيروز فان كاظم باشا يعرفك جيدا وانا اريد ان يعرفك اذا لم يكن يعرفك سابقا

واذا سألك عن سبب سفرك فقل له انك ذاهب الى مصر لمساعدت سيدك رضابك وخلاصه مما هو فيه

واذا اراد الاستعلام منك عن أشياء اخري فلا تخفيها عنه وكن صادقا في كلامك معه

وأما انا وبقية رجالي فلا تهتموا بنا ولا تلتفتوا الينا اذا ولو فرضنا انكم عرفتمونا لانا سنعلم بكلما سيدور بينكما من الحديث

ـ وكيف تتمكن من معرفة مايدور بيننا اذا كنا لانخبرك به لاسيما وانك لاتريد اظهار نفسك الى كاظم باشا حتي لايعرفك

ـ هذه هي اسراري فلاتتعبوا انفسكم في معرفتها

ـ واذا وصلنا الاسكندريه

ـ عند وصولكما الاسكندريه يركب كل عربه وتقصدان محطة السكة الحديد وتنتظران في قهوتها قيام القطر الى مصر لتقوموا به

ـ ومتي وصلنا مصر .

ـ تقصدان فندق شبرد وتتخذان لكما

غرفتين فيه

وفي الساعة التاسعة افرنكية مساء ذهب اليكمافي الفندق بصفتى قريبا الى عطا افندي للسلام عليه وهناك نتداول في مسالة رضا بك

هذه هى الخطة افهمتم

فاراد فيروز اغا ان يستعلم منه عن امور ولكن فوزى لم يمكنه من ذلك بل قال

الى الملتقى

فاسرع عطا افندى ركضا وراء فوزى وقال قف كلمة واحدة

- ماذا تريد

- هاك عشرون جنيها لاجل مصاريفك ومصاريف رجالك

*
* *

في الساعة الرابعة افرنكيه بعد الظهر اهتزت الباخرة الفرنساوية اهتزازا خفيفا دلالة على انها ابتدأت بالمسير

ثم تزايدت سرعتها رويدا رويدا حتى ابتعدت عن ميناء بيروت وسارت وصارت تشق عباب البحر تمايل كعروس قاصدة الاسكندرية

ولما كان الوقت صيفا والسماء صافية خرج اكثر الركاب الى ظهر الباخرة يتمتعون بمنظر البحر والامواج التي تشابه جيوشا تتعارك وتتناضل في الفضاء الواسع ولكن بدون سلاح

وكان في استراحة الدرجة الاولى كاظم باشا جالسا بمفرده ينظر الى الركاب بعين القلق كانه ينتظر انسانا

وما لبث ان افتر ثغره لقدوم ذلك الانسان وهو حقي ضابط البوليس السري

ـ اجلس ياحقي بجانبي ودعنا نتحدث بمسألة رضا بك .. لقد ارتكبت من هذه المسألة المشكلة

فقد مكثنا في دمشق خمسة شهور نبحث وندقق اشتغلنا خفية فلم تظهر لنا الحقيقة واشتغلنا جهرا فزادت طمسا وذهبت اتعابنا سدى فاي الشيطان زور الاشارة واراد ان يلقي رضا بك في الهلاك

«ـــ»

اني اقسم لك ياحقي بأن ادفع نصف ثروتي لمن يكتشف لي مخبأ ذلك الشقي حتى لا يسقط اسمي لدى جلالة السلطان ويسلقني الحاسدون بألسنة حداد

تقول ويقول الوالي وسعيد باشا الكردى ان سرور اغا يكشف سر المسئله في اسبوع واحد فهل هو ساحر أم من زمرة الجان انا في زمن تصم فيه الآذان عن تلك الخرافات والخزعبلات

ـ لقد سمعت كثيرا عن سرور اغا ياسيدى فهو نادرة عصره فاسمه يرجف القلوب

وتأكد ان كل كلام تسمعه عنه فهو حقيقي وقد بلغني عنه نادرة مضحكة

ـ وما هي ياحقي احكيها لي

ـ بلغ سرور اغا ان بعض الاشقياء عولوا على ان ينهبوا مخزنا للبضائع فخرج بمفرده قبل منتصف الليل بساعة وبيده ورقة وقصد المخزن وعلق على بابه الورقة واختفى في احدى الحارات وعيناه تراقب المخزن

وبعد منتصف الليل بنصف ساعة اقبل الاشقياء

نحو المخزن فهجم عليهم الحارث فتكاثروا عليه وقبضوا على يديه وكتفوه وتركوه على الارض بدون حراك

- ولماذا لم يصرخ ويستغيث

- بلغني انهم وضعوا فى فمه منديلا فلم يقدر على ان يستنجد ببقية الحراس

- وهل كان سرور اغا ناظرا اليهم لما فعلوا ذلك

- نعم فقد كان موجوداً يراقبهم ولكنهم لم يروه

- ولماذا لم يظهر نفسه . هذا جبن منه

- كلا ياسيدى انه ليس جبانا بل هو شجاع شديد البأس

- ولماذا لم يظهر نفسه لهم

- اسمع بقية القصة فتعلم السبب

- حدثني ياحقي اني اكره هذا الرجل كثيرا

بعد ان كتف الاشقياء الحارس تقدموا من باب المخزن كي يفتحوه باي طريقة ولكنهم رأوا ورقة ملصوقة عليه فأصفرت وجوههم . أتعرف ماذا كان مكتوبا عليها

ـ وماذا كان مكتوبا عليها ياحقي

ـ كان مكتوبا عليها اسم سرور اغا باحرف كبيرة واضحة

ـ وماذا فعلوا لما رأوا الورقة

ـ أصابتهم رعشة وشعروا بخوف شديد واخذوا ينظرون الى بعضهم بحيرة

فتقدم احدهم وكان اشجعهم وقال

اكسروا الباب

فاجابه اخر

ياهذا ألا تعرف سرور أغا . ألم تسمع به

قال ـ سمعت به

قال اخر

اتريد ان يقبض علينا ويكون السجن مسكناً لنا

اجابه ـ وكيف يعرفنا

قال ـ انه ساحر وسيعلم غدا بهذه المسألة فيقبض علينا ويزجنا في السجن

وظهر في اثناء حديثهم رجل قصير القامة فلما اصابهم

من الخوف ظنوه سرور اغا فصرخوا بخوف لقد أتي الى الهرب يارجال

ففروا هاربين واختفوا بين الشوارع

ـ يالالعجب يااحقى

ـ واما سرور اغافانه بعد فرارهم خرج من مخباه واسرع نحو الحارس وفكه واخرج المنديل من فمه وقال له لا بأس عليك أيها الرجـل الامين فهل تعرف هؤلاء اللصوص

اجابه ـ كلا

قال ـ أنا أعرفهم وسوف اقتص منهم

ولم يصبح الصـباح يارئيسى الا وزج سرور اغا اولئك الاشقياء في السجن

ـ ماادهاه صبر على اللصوص حتي عرفهم

ـ لو اظهر نفسـه لفروا قبل ان يتمكن من معرفتهم . . . انى اكرهه اكثر منك ولكن لااقدر ان انكر الحقيقة فهو نادرة عصره

## الفصل الخامس

### (التعارف)

بينما كان كاظم باشا وحقي يتحدثان كان على المقعد المقابل لهما فيروز اغا

وكان في ارتباك شديد لانه لم يري فوزي افندى رجل سرور اغا ولا رجاله داخل الباخرة فاخذ يكلم نفسه

اين هو . هل بقي في بيروت والماذا بقى . ربما عرفه كاظم باشا فارجعه الى دمشق

وكان فيروز قد وقف على حاجز الباخرة ولاحظ عموم الركاب الذى نزلوا فيها ولكنه لم ير فوزي ورجاله بينهم

فسار الى استراحة ركاب الدرجة الاولي فوجد كاظم باشا جالسا مع حقي يتحدثان بصوت ضعيف

فجلس على مقعد مقابلا لهما منتظرا قدوم عطا افندي

ولم يطل مكوثه الا ودخل عطا افندي وجلس على مقربة منه وبقيا سكوتا حتي لاحظ عطا افندي ان

كاظم يدقق النظر في فيروز اغا

فالتفت عطا أفندى الى الاخير وقال بصوت عال

سمعه كاظم باشا

اظنك ياسيدي من دمشق

فاجابه فيروز اغا

صدقت ياسيدى ولكن من اعلمك بذلك

ـ رأيتك مراراً بدائرة سعيد باشا الكردى

ـ ومن انت

ـ انا حسين اغا بوزو الكردي

ـ انت قريب سعيد باشا الكردي اذن

ـ نعم ياسيدي

ـ تشرفت بمعرفتك وأنا فيروز اغا باش اغا حرم المرحوم فائق باشا مستشار جلالة السلطان سابقا

وكان يتكلمان وعيونهما تراقب كاظم باشا فرأي فيروز اغا كاظم باشا يشير له بالدنو منه

فتقدم نحوه وقبل يده

فامره كاظم باشا بالجلوس فجلس وسأله قائلا

أراك مسافراً معنا في الباخرة

ـ نعم ياسيدى

ـ اين تقصد

ـ مصر

ـ لماذا

ـ لاعرف اسباب تهمة سيدي رضا بك وأساعده للخلاص مما هو فيه

ـ هل تظن ان سيدك بريء من التهمة الثانية

ـ لا بل أؤكد ذلك

ـ فاذا كان سيدك بريء فعلى من تلقي التهمة

ـ على سيدي احمد افندي عم سيدي رضا بك

ـ يظهر انك تبغض احمد افندي حتى انك تلصق به كل تهمة تقع على سيدك رضا

ـ كلا ياسيدي لست أبغضه ولكن التهمة الملقاة على سيدى رضا ان لم يكن احمد افندي فاعلها فبايعازه عملت

ـ اذا صادقت على كلامك في مسألة تزوير الاشارة والصقت التهمة باحمد افندي فعلى من تقع شبهتك بمسألة

ـ على احمد افندي فهو المدبر للمتهمين

ـ كيف ذلك مع انه لم يسافر الى مصر مطلقا

ـ لا اعلم كيف تدبر في ذلك ولكني لا ابرئه مطلقا

ـ هـذا شيء غير معقول أتلصق التهمة برجل بريء منها

ـ ولكنك لا تعرف احمد افندي جيدا

ـ لقد ظهر لي انه طيب السريرة يميل الى رضا بل يحبه اكثر من ولده

لقد ظهر لك ذلك ولكن لو علمت ما يكمنه من البغض لسيدي رضا لصادقت على كلامي وقبضت عليه وزججته في السجن

ـ أحقيق ماتقول

ـ كيف لا وقد دبر على هلاك سيدي رضا مراراً ولكنه لم يفلح

ـ قص علي ما كان يفعله لهلاك رضا بك

ـ أتريد ان اقصه بالاختصار

ـ كلا بل قصه تماما حتى اتأكد صدق قولك وسيفيد ذلك رضا بعد التحقيق

ـ ولكن ربما استغرق طول مدة سفرنا في الباخرة

ـ وما المانع مادام منها فائدة اسيدك رضا بك

وقرع وقتئذ جرس الباخرة ينبه الركاب لتناول طعام العشاء فقال كاظم باشا

ابق قصتك الى ما بعد العشاء

فنظر فيروز اغا الى عطا افندي فرآه يغمزه بطرف عينه ففهم قصده فالتفت الى كاظم باشا وقال

ارجو من دولتكم ان تسمحوا لي بان اعرفكم بصديق لي

ـ ومن هو يا فيروز

ـ هو حسين اغا بدرو الكردي احد اقرباء سعيد باشا الكردي

وبعد ان عرفهما ببعضهما ساروا الى غرفة المائدة وتناولوا طعام العشاء

## ﴿ الفصل السادس ﴾

## ( الفتاة الحسناء نازك )

اجتمع الاربعة بعد مناولة طعام العشاء في الاستراحة وكان كاظم باشا وحقي افندي جالسين على مقعد وفيروز اغا وعطا افندي على مقعد آخر مقابلا لهما فقال كاظم باشا مخاطبا فيروز اغا

هيا وقص على أعمال احمد افندى مع رضا بك

— عيروني سمعكم

ـ كلنا آذان صاغية

ـ في السنة الماضية قبل وفات سيدى الوزير فائق باشا فى أحد الايام بينما كان الوزير جالسا في سرايه دخل عليه ساعي البريد وسلمه تحريرا وارد من مصر من الخديوي اسماعيل باشا يرجو فيه سموه سيدي الوزير السفر الى الاستانة لمعاونته عند جلالة السلطان على مرغوبه

فحباً بالخديوى ورغبة فى مشاهدة اصدقائه سافر سيدى الوزير فائق باشا الى الاستانه يصحبه ولده رضا

بك واتباعه فرحب به جلالة السلطان

وبعد وصول الوزير بيومين الى الاستانة وصل

اليها اسماعيل باشا خديو مصر

ومثل سموه لدي جلالة السلطان والتمس طلباته

وكان سيدى الوزير مع جلالته فساعد سمو الخديوي

بجهده حتي قبل جلالته بها

وفى أثناء ذلك توفى الرجل العظيم المخلص للدوله رشدى

باشا الوزير المتمول

فبعد وفاته بسبعة ايام صدر امر المحكمة الشرعية

ببيع تركته لحفظ استحقاق اولاده القصر

ومن جملة من ذهب من الوزراء لمشترى الاشياء

التي تعرض للمبيع سيدي فائق باشا وصحبه ولده رضا بك

وكان سراى رشدى باشا غاصة بالوزراء وعظماء الدولة

وكبراء التجار والجواهر جيه وخلافهم

فلما دخل سيده الوزير استقبلوه بترحاب وفي

مقدمتهم نسيبه فخامة الصدر الاعظم محمود باشا نديم

واما سيدى رضا بك فانه جلس في فناء السراي

امام الايوان الجالسين فيه الوزراء

وابتدأ الدلال في فناء السراي بعرض المصاغ للبيع فعرض علبة للسكاير من الذهب الخالص مرصعة بالاحجار الكريمة ورقم سيكارة من الذهب المنقوش وطلب فتح المزاد

فعجب سيدي رضا بالقطعتين وفتح مزادهما بستمائة جنيه وزاد آخر فيهما عشرين جنيها فدفع سيدى فيهما سبعمائة وخمسين جنيها في المزاد وسلمهما الدلال له

وما زال الدلال يعرض مصاغا وسيدى رضا يزود في ثمن كل قطعة تروق في عينه حتى اجتمع لديه من المصاغ مايساوي قيمته خمسة الاف واربعمائة جنيه

وعرض الدلال المفروشات فلم يشتر سيدى رضا منها شيئاً

وأتى دور الجوارى فصاح الدلال باعلا صوته قائلا

كل من اراد مشترى جوارى بيضا كانوا ام سودا أو عبيدا فليدخل الى الغرفة الموجودين بها وينتقي

ماروق في عينيه

فدخل الوزراء الغرفة ودخل من جملتهم سيدى رضا فوقعت عيناه على جارية بيضاء تفوق البدر جمالا فتأكد له من حسنها الباهر انها كرجيه وكانت لا تتجاوز الثالثة عشر من عمرها فتقدم منها وقال لها

ألا زلت بكرا أيتها الفتاة

فأجابته ونظرها لا يرتفع عن الارض

نعم ياسيدي

فسألها قائلا

ما اسمك

اجابت اسمي نازك

قال ـ وكم عمرك

اجابت ثلاثة عشر عاما

قال ـ وما جنسك

اجابت ـ كرجية

قال ـ اين ربيتي

اجابت في دائرة سيدي المرحوم رشدي باشا

وهو كذلك اذ تقدم منه احد الوزراء وقال وقد

امتشاط غضبا

كف عن السؤالات الفارغة يا افندي واترك

هذه الجارية وانظر لك غيرها من الجواري

فسأله سيدى قائلا

وما المانع اذا كنت اسألها عما اريده أليست

معروضة للبيع كغيرها من الجواري

فاجابه الوزير واسمه عزيز باشا وقد ظنه مملوكا

أو احد الموظفين بالوظائف الحقيرة

نعم انها معروضة للبيع ولكن لا لمن كان مثلك

ولما سمع سيدي رضا كلام عزيز باشا رماه بنظرة

احتقار ورجع الى مقعده وجلس ودعاني اليه وامرني

بأن اسأل الباشا اغا الحرم رشدي باشا اذا كان يوجد

جوار أبكار معروضين للبيع غير نازك

فلبيت الامر وخرجت من الفناء وقصدت المكان

الذي يجلس فيه الباشا اغا وسألته فاجابني ان نازك هي

البكر فقط بين الجواري فرجعت واخبرت سيدي بذلك

وبعد برهة خرج الدلال من غرفة الجوارى ومعه
ثلاثة منهن احدهن نازك وقال

من يفتح الدلال

فالتفت اليه سيدى رضا وقال

اتريد ان تبيع الثلاثة الجوارى مرة واحدة

اجابه — هكذا امرت

قال ـ ومن امرك بذلك

اجاب ـ جملة من المشيرين

قال ـ لا بل تباع كل واحدة بمفردها

وكان عزيز باشا الذى اعترض سيدى قبلا واقفا
يسمع كلام سيدى رضا وهو يكاد ينشق غيظا فلم يقدر
ان يضبط نفسه بل تقدم من سيدى وقال له

من اين لك ان تعترض الدلال

فاجابه سيدى

اعترض لصالح الورثة القصر

فازداد الوزير حنقا وقال

اما ان تتأدب في كلامك وسلوكك هنا والا آمر

بطردك بعد ان تدفع ماعليك من ثمن المصاغ

فضحك سيدي من كلامه وقال

افعل ان كنت تقدر

فهاج عزيز باشا والتفت الى القاضي المندوب لبيع التركة وقال

هل يجوز يافضيلة القاضي ان تقبل مزاد من كان مثل هذا الشاب دون ان تعرف من هو وما اذا كان قادرا على دفع تلك المبالغ المطلوبه منه ثمن المصاغ

وكان اثناء حصول الجدال بين سيدي رضا وعزيز باشا سيدى الوزير فائق باشا ومحمود باشا نديم الصدر الاعظم في الايوان ولكنهما يسمعان كلامهما

فلما رأى فخامة الصدر الاعظم ان الجدال اشتد بين الاثنين خشي حصول مالاتحمد عقباه

فقام من مقعده وتقدم من سيدى رضا بك وقال كلام عزيز باشا في محله فهل معك نقود لدفع ثمن المصاغ

فاجابه سيدي رضا وهو يبتسم

لو علمت ياسيدى انى سأشترى كل هذه الاشياء

لكنت اتيت بعربة تحمل ذهبا بريقه يدهش الابصار
ولكن ثمن مااشتريته لايقدر على حمله انسان
فرمقه فخامة جده الصدر الاعظم بعين السرور وقال
صدقت ولكن كيف تدفع ثمن هذه الاشياء اذن
اجاب سيدى رضا بك
ادفعه بتحويل على البنك العثمانى
قال ـ واذا رفض البنك تحويلك
اجابه ـ كلا لن يرفضه
قال ـ اننا نفرض ذلك
اجابه ـ لو فرضنا كقول فخامتكم ورفض البنك
التحويل ففخامتكم تدفعون الثمن
فضحك فخامة الصدر الاعظم وقال مخاطبا عزيز
باشا وفضيلة القاضي
مادام رضا بك انتدبني الى دفع ثمن المصاغ اذا
رفض البنك العثمانى قبول التحويل فانا مستعد لدفع ثمنه
وقد صار الآن بضمانتي فاطلب اتمام مرغوبه ببيع
كل جارية بمفردها الان طلبه شرعي

فتعجب الوزراء المجتمعون الذين كانوا لايعرفون
ان رضا هو حفيد فخامة محمود باشا نديم
واندهشوا لتعضيد الصدر الاعظم لسيدى رضا
وكان اكثرهم اندهاشا عزيز باشا
وقال الدلال حينذاك مخاطبا سيدى رضا بك
من من الجواري تريد أن اقدمها اولا
اجابه ـ نازك وعلى فتح مزاها
قال ـ كم تدفع ثمنها
اجاب ـ مائتي جنيها
فزاد سعيد باشا في ثمنها وقال
انا ادفع مائتين وواحد
فزاد سيدى رضا وقال
ثلاثمائة جنيه
قال عزيز باشا
ثلاثمائة وواحد
قال سيدي رضا بك
علي باربعمائه الا غرشا واحد

فخاف عزيز باشا ان يزيد لئلا يرسي عليه المزاد ولكنه كظم غيظه

وبقي الدلال ينادي مرارا

اربعمائة جنيه الا قرش

فلم يزود احد في الثمن فرسي المزاد على سيدي رضا فامرني بان استلمها من الدلال

وكنت الاحظ عزيز باشا فرأيته متكدرا وعلى ظني انه لولا وجود الوزراء والصدر الاعظم لبطش بسيدي رضا بك

وخشي فخامة محمود باشا نديم على حفيده من عزيز باشا فامسك يده وخرجا يصحبهما الوزير فائق باشا بعد ان نبه جد رضا بك على الكاتب ان يقدم له في سرايه ورقة حساب عن كلما اشتراه حفيده

---

## ﴿ الفصل السابع ﴾

### « نازك جميله ورضا احبها »

وتبعت سيدي رضا بك ووالده وجده والجارية

في أثري حتى وصلنا سراي فخامة الصدر الاعظم فادخلت
نازك داخل الحرم وجلست بين الغرفة الجالس فيها
سيدي رضا بك مع خاله حافظ بك والسلاملك الجالس
فيه سيدي فائق باشا وفخامة الصدر الاعظم

وتنصت لما كان يدور بين سيدى فائق باشا
وفخامة محمود باشا نديم فسمعت الاخير يقول لسيدى

أرأيت كيف اغتاظ عزيز باشا من ولدنا رضا

اجابه ـ نعم لاحظت انه متكدر من ولدي رضا
ولكني لم أعرف السبب

قال سببه الجارية نازك

فاندهش سيدى وقال

لماذا يتكدر الآن ولدى اشترها

أجاب نعم

قال ـ ومن قال لك ذلك

اجاب ـ لاحظت ذلك من مقاومته لرضا حين جراء
البيع . وتأكد انه لولا وجودنا لبطش به

قال ـ ألم يعلم ان رضا ابني

اجاب لا أظن ذلك

قال ـ أمتأكد ان سبب كدر عزيز باشا هو تلك

الجارية

أجاب ـ نعم فقد بلغني منذ سبعة شهور قبل وفات

واشد باشا ان عزيز باشا سمع بوجود نازك عنده

فطلبها منه فأباها عليه

قال ـ ولماذا يريدها أللزواج أم ليستحضي بها

أجاب ـ للزواج

قال ـ ولماذا لا يعطيها له اذا كان قصده الزواج

ليس الا

اجاب ـ لنفور كان بينهما سر

قال ـ أمتأكد ان عزيز باشا يميل الى نازك

اجاب ـ لا بل يعشقها ايضا

فصمت سيدى فائق باشا قليلا وقال

سأطلب عزيز باشا واهبه نازك اذا كان يتعهد

بأن يتزوج بها

فنظر اليه الصدر الاعظم باندهال وقال

وكيف ذلك

قال ـ لانني لا اريد ان امنع الجواري من الزواج اذا وجد لهن ازواج موافقون

أجاب ـ ولكنك اذا فعلت ذلك توجد ضرراً وكدرا عظيما لرضا

قال ـ ولماذا وكيف

اجاب ـ لان نازك جميلة ورضا احبها

قال ـ أمؤكدا ذلك

أجاب غاية التأكيد

قال ـ اذن فهذا غاية ماأريد

فنظر فخامة محمود باشا نديم الى فائق باشا باندهاش وقال

ماالمعنى من ذلك

قال ـ اطوار رضا حميدة ولكن يكدرنى منه امر واحد

قال ـ وماهو

قال ـ ميله الى الحسان ولكني سأتلافى الامر واهبه

الجارية نازك كي يمتنع بواسطتها عن ذلك الامر

قال ـ هذا عين الصواب فلا بد ان تسحره عينا نازك فيكف عما حرمه الله

قال ـ اني أريد ان اهبه الجارية بحضورك لترى ماذا يكون منه

قال ـ لا بأس

وامر فخامة محمود باشا نديم احد الخدم بان يدع رضا بك اليه

فلبي الخادم الامر وخرج

وبعد برهة دخل سيدي رضا بك فامره الصدر بالجلوس وقال له

اخبرني ياولدي لماذا كدرت عزيز باشا بشراءك تلك الجارية رغما عنه

وعلاوة على ذلك فقد دفعت فيها ثمنا فاحشا يمكننا أن نشتري به عشر جوار بدلا منها

فاحمر وجه رضا بك خجلا فتلاحظ سيدي الوزير وفخامة الصدر الاعظم اذ ظنا ان رضا يهوى تلك

وأما سيدى رضا بك فانه أجاب جده على سؤاله قائلا

لا اعمل الا ماتوجبه على ذمتى

فابتسم والده وقال

لم افهم فسر كلامك يارضا

اجابه ـ رأيت الجارية تساوى ذلك الثمن ان لم أقل انها تساوى اكثر

فاشتريتها بضعفي الثمن الذي دفعه فيها عزيز باشا حتى لا اضر بورثة رشدى باشا

قال ـ هل تظن انها تساوى ذلك الثمن الذى دفعته فيها

أجاب ـ كيف لا ياسيدى مادامت بكراً لا تتجاوز الرابعة عشر من عمرها وهي ذات حسن يأخذ بمجامع القلوب

فتلاحظ مرة اخرى والده وجده لمديحه الجارية الحسناء وقال والده

وما هو جنسها ياولدى

اجابه - هي كرجيه

قال - مادامت راقت في عينيك فقد وهبتك
اياها فهي خادمة لك منذ الآن

فلم يفهم سيدي رضا معنى كلام والده فاجابه قائلا
وانا أعتقها لوجه الله الكريم فهي حرة منذ الآن

فاندهش والده وجده وقال الاول

كيف تعتقها ياولدى وقد وهبتها لك بعد ان
دفعت انت ثمنها أربعمائة جنيه لاسيما وقد قلت لي انها
اجمل جارية وقعت عليها عيناك

فأجابه وهو يبتسم

تشبهت بك ياوالدي

قال ماذا تعنى بذلك لم أفهم فسر كلامك

اجابه - لقد رايتك عندما تشترى العبيد والجواري
تعتقهم لانك تكره ان يخدمك عبد وسأسير انا أيضا
على خطتك

فاندهش الصدر الاعظم وسيدى فائق باشا من

جواب رضا وعجبوا بشهامته وقال والده

اذهب ياولدي الى نازك واخبرها انها صارت حرة لوجه الله الكريم

ولما خرج رضا التفت سيدي فائق باشا الى الصدر الاعظم وقال

لقد فسد الامر علينا

اجابه كلا لم يفسد بل سيكون كما نريد

قال ـ وكيف يتم وقد اعتقها

اجاب — ابي رضا أن يستحضى بالجارية وهي اسيرة له فاعتقها كي يتخذها زوجة له بشرع الله

وقد فعل ذلك من عظم حبه لها

قال ـ وكيف علمت بحبه لها

اجاب — الم تنظر كيف انه احمر عند ذكرها

قال — عسى أن يكون ذلك اكيدا وسأجهزها له حتى اذا وصلنا دمشق ازفه اليه

واخرج فيروز اغا الساعة من جيبه فاذا بهم قد تخطوا منتصف الليل بحديثهم

وشعر كاظم باشا بالنعاس فقال

اجل يا فيروز الحديث الي صباح الغد

## ــ الفصل الثامن ــ

(الحلي ــ تحرير من عين الحياة)

في صباح اليوم الثاني من قيام الباخرة من بيروت كان الجو رائقا والبحر هادئاً والنسيم يهب عليلا فينعش الافئدة

فبعد الافطار خرج الركاب من غرفة المائدة وتمشوا على ظهر الباخرة يستنشقون نسيم الصباح ويتمعون انظارهم بمنظر البحر الجميل

وكان بين الركاب اصحابنا بالامس جالسين على مقاعد وهم كاظم باشا وحقي وفيروز أغا وعطا افندي

فقال كاظم باشا مخاطباً فيروز

اكمل حديثك

فقال فيروز

عيروني سمعكم

خرج سيدى رضا بك من لدن والده وجده فخامة الصدر الاعظم وقصد الحرم ودخل على جدته فرأى نازك صحبتها

فتقدم وقبل يد الاولى وقال مخاطباً الجارية

أتعرفين من هو سيدك ايتها الفتاة

اجابت ـ انت هو ياسيدى

قال ـ كلا بل سيدك هو والدي وقد وهبني اياك كرماً منه وانا اعتقك لوجه الله فانت حرة الان

ولك الحق في ان تختارى الرجوع الى منزل سيدك المتوفي أو أن تبقى معنا فتذهبين برفقتنا الى دمشق وتعاملين كشقيقة لي

فبكت الفتاة سرورا واندهشت من رقة ولطف سيدى رضا وقالت ونظرها الى الارض

لا بل افضل ان اكون جارية لك فخذني معك الى دمشق لاخدمك مدى حياتى

فقال سيدى رضا وقد تأثر من تخضعها

ستكونين اذن مكرمة منا جميعا وتعاملين كما لو

والتفت الى جدته وطلب منها ان تجهز الى نازك ثيابا
فاخره قبل السفر ثم خرج من الحرم وقصد السلاملك
فوجد والده وجده لا يزالان فيه فاخبرهما بما دار بينه
وبين الفتاة نازك فسرا وقال والده وهو يتبسم

اني اهنئك ياولدي بامتلاكك قلب الفتاة الحسناء
فاخرج وجهز لها من الملابس ما يروق في عينيك وعينها

فاحمر وجه سيدي رضا بك خجلا وقال

شكرا ايها الوالد على حنوك

قال ذلك وخرج

وفي اليوم الثاني اتيت بعربة ركب فيها سيدي
الوزير يصحبه ولده رضا بك وركبت أنا والسائق
وسارت بنا العربة الى سوق البادستان ووقفت على باب
محل شيخ الجواهرجية فنزلنا منها ودخلنا المحل فطلب
سيدي الوزير من صاحبه ان يأتيه باثمن عقد عنده
فاتاهما بعقد من اللؤلؤ الثمين يدهش الناظر وقال
هـذا عقد ثمين يادولة الوزير يندران يوجد مثله

في الاستانة

فأخذه سيدي وناوله الى ولده رضا بك

والتفت الى الجواهرجي وقال

ائتنا بسوار من الذهب الخالص المرصع بالاحجار الثمينة

فاتاه الجواهرجي بسوار عجيب على شكل الافعى مرصع بقطع من ماس تبهر العقول

ومازال سيدى الوزير يطلب من الجواهرجي حلي من خاتم ثمين وحلق مرصع وساعة مزخرفة وخلافه مما يتحلى به نساء الوزراء حتى اجتمع لديه ماقيمته تساوي الفي وخمسمائة جنيه

وقد اشترى سيدي الوزير الحلى ظنامنه ان سيدي رضا يميل الى الزواج بنازك

فلما دفع ثمنها التفت الى رضا بك وقال

خذ ياولدي هذه الحلي هدية مني الى نازك

فاندهش رضا بك ولم يكن يظن أن والداه ابتاع كل تلك الحلي الثمينه الى نازك وقال

أإلى نازك هذه

أجابه ـ نعم لانها تستحق أكثر من ذلك

فحمل رضا بك الحلي وركبنا العربة فعادت بنا الى السراى فدخل سيدى رضا بك الحرم يحمل الحلي الثمينة وطلب من جدته احضار نازك فأتت بها اليه فقدم لها المصاغ وقال هذه هدية منا اليك

فاندهشت الفتاة الحسناء اذ رأت زوجة الصدر الاعظم تلبسها حلي ومجوهرات لم تحلم بها

فاذرفت دموع الفرح وقالت

أكل هذا لي

أجابتها جدة رضا

نعم يابنتي كله لك فكوني مسرورة

فقال سيدي رضا بك مخاطبا جدته

متى تجهزين الملابس الى نازك

أجابت ـ لقد أحضرت أمهر الخياطات أمس وسلمتها أقمشة حريرية لتفصيل الملابس

وما عاد ينقصها الا ثلاثة أشياء يلزمك أن تأتيها بهم

قال ـ وما هم ياجدتي

اجابت ـ حزام من الذهب مرصع وبدلة جركاش ( ١ ) وبدلة الزفاف

قال ـ على ان احضر لها الحزام واما بدلة الجركاش وبدلة الزفاف فلا اعرف فيهما

فاكلفك ياجدتي العزيزة ان تنتقي لها البدلتين بمعرفتك

وكان قصد جدته بطلبها الثلاثة اشياء كي تعلم اذا كان لرضا رغبة في الاقتران بنازك لانها كانت تعلم في شك من ذلك

فلما كلف جدته بان تنتقي له البدلتين تأكد لها انه يميل الى نازك فضمته الى صدرها باليد الواحدة وعانقت بالاخرى نازك وقالت

ساجهز لها ما يلزم ياولدي فلا تفكر في ذلك لتذكرني يوماً ما وتقول

جدتي هي التى جهزت لي نازك

---

( ١ ) ثوب للنساء مزركش بالقصب يصنع في الاستانة

فشكرها سيدي وخرج وقصد شيخ الجواهرجيه في سوق البادستان وابتاع الحزام باربعمائة جنيه وعاد الى السراى وسلمه الى جدته لتضمه مع المصاغ

وفي مساء ذلك اليوم أتاه تحرير من دمشق ففضه وتلاه وما اتي على آخره حتي تهلل وجهه سروراً

وكنت واقفا بجانبه ألاحظه فسألته عما يحويه التحرير

ولما كنت مطلعا على جميع اسراره ناولني اياه وقال اقرأه فتفهم

فاخذت التحرير ونظرت الى التوقيع فكان من جوهر اغا باش اغا حرم المشير يشكو له فيه انقطاع المكاتب وما اصاب سيدته عين الحياة من الكدر لانقطاع التحارير مما جعلها سميرة الاحزان

وفي التحرير ايضا

ان زوجة المشير والدة عين الحياة طلبت من جوهر اغا ان يذكر سيدي رضا بالقسم الذي اقسمه امامها

فلما تلوت التحرير سلمته الى سيدي رضا بك وسألته عن رأيه في التحرير فاجابني بانه سيحرر لها كتابا يطمنها فيه عن صحته وانه ذاهب الى دمشق بعد خمسة ايام

وقال لى

سأحمل اليها هدية فاخرة لانها الفتاة الوحيدة التي كرست حياتي لها

فقلت له ـ وماذا تفعل بنازك

فاجابني باندهاش

ومامدخل نازك في هذا الامر

قلت ـ الست مزمعا ان تتزوج بها

قال ـ ومن أخبرك بذلك

قلت ـ ظهر لى ذلك من اكرامك والتفاتك اليها واري ان والدك وجدك قد ظهر لهما ميلك الى الزواج بنازك فاكرماها لاجلك وعزما على ان يزفاها اليك

قال ـ احقا ما تقول

قلت ـ نعم لقد تقرر ذلك

قال — واذا كنت ارفض الاقتران

قلت ـ انت ياسيدي حر ولكن اذا رفضنا واخبرت والدك بأنك لا تريد الاقتران بنازك وقبل منك فهل تظن ان المشير يرضى بان يزوجك بابنته

قال ـ ولم لا يافيروز

قلت ـ أما سمعت ماذا كان يقول

قال ـ وماذا كان يقول

قلت ـ لقد قال مراراً أنه يحب ابنته حبا يقرب من العبادة ولا يقوى على مفارقتها لحظه

وانه سوف لا يزوجها الا لمن يكون بمعيته ويتبعه اينما ذهب

فهل تترك والديك وتستغنى عن املاكك وتذهب معه اينما ذهب

واذا فرضنا وانك قبلت بذلك فهل يقبل والدك مع انك اعلم بشدة تعلقهما بك فكم نصحتك ان تترك حبك لها وتسلوها اذ لا يتأتى لك من هـذا الحب الا العذاب والكدر

فأجابني بتململ

ولكني لا أقدر أن أسلوها فقد تمكن حبها من قلبي حتى لم يعد لي طاقة على اقتلاعه منه فان لم أقترن بها فبدون شك اني هالك

قلت – ولكنك اذا تزوجت بنازك لا بد أن تسلو عين الحياة رويداً رويداً حتى لا تعود لها ذكري في فؤادك مطلقا

فنظر الي طويلا وقال

أخائن أنا يا فيروز

قلت – حاشا ياسيدي أن أنسب لك هذا الامر

قال – لقد أقسمت بان أبقى على حبها فلن أحنث بيميني ماذا تقول عني اذا علمت باني خنت عهدها . تقول ولا شك اني خائن

ماذا يصير منها اذا علمت باني وهبت قلبي الى غيرها لا شك انها تهلك حزنا

كني كني يا فيروز فلا تعذبني فهي هنائي وسعادتي وحياتي

ولما رأيت أن حبها متمسكا في قلبه ويستحيل ازالته منه غيرت الحديث قائلا

ماذا عزمت أن تفعل الآن فأجابني

مرادي أن أحرر لها بأني سأسافر قريبا الي دمشق وسأذهب وأشتري من الهدايا مايليق بملكة فؤادي

قلت ـ واذا رفض والدك بان يزوجك بابنة المشير وصمم على أن يزوجك بنازك

قال ـ أرفض الاقتران بها وأبقى مع ملكة فؤادي على الطهارة والوداد حتى يفعل الله ما يشاء

قلت ـ ولماذا لاتبين أفكارك الى والديك

قال ـ كلا لاأريد أن يعلم أحد بغرامي لعين الحياة لئلا يعلم بذلك والداها وقد يكون لارغبة لهما في زواجها بي فيرفضان طلبي فأموت بحسرة لاجلها

وكان يكلمني والدمع يترقرق في عينيه فتأثرت ولمت نفسي على تداخلي فى شؤنه مما جلب له الكدر وبقي يذرف الدمع برهة حتى بكيت تأثرا وقلت له

لاتيأس ياسيدي وما جعلني أن أحدثك بشأن

زواجك بنازك هو لانني رأيت والدك وجدك يرغبان ان يزوجاك بها

وما دمت تحب عين الحياة ولا تتحول عن هواها فانا اكون أكبر مساعدلك لنوال مرغوبك

فنظر الي برهة وقال

وكيف تساعدني يافيروز

قلت — اساعدك بان اجمعك بمن تحب سراً

قال — احقا ماتقول

قلت — تأكد ياسيدي اني افعل ذلك

قال — ولكني لااريد ان يعلم والدي باجتماعنا وئلا يعملا على فراقنا

قلت — كلا لاتخف من قبيل ذلك ولكن مامرادك ان تأخذ لحبيبتك من الهدايا

قال — اني استشيرك في هذا الامر

قلت — رايت اليوم عند شيخ الجواهرجية تاجا من الذهب مرصعا بقطع من ماس تبهر الناظر فلاارى اوفق منه اليها

قال ـ اتستحسن هذا التاج لعين الحياة

قلت — نعم ولكن ثمنه غال ياسيدى

قال — كلا فحياتى رخيصة في سبيل رضاها فائتنى الآ ن باداة الكتابة لاحرر لها وبعد ذلك نذهب الى البادستان ونشتري لها التاج واسلمه لك فتضعه بين ثيابك حتى لا يعلم بذلك احد وحين وصولنا دمشق توصله اليها

فأتيته بقلم وقرطاس وحبر فحرر الي عين الحياة كتابا رقيق العبارة عنوانه باسم جوهر اغا

اخبرها فيه بانه حافظ لعهدها باق على وعده وقسمه وانه سيكون عندها بعد خمسة عشر يوما

وهنا توقف فيروز اغا عن الكلام ليرتاح قليلا

---

## الفصل التاسع

### التاج المرصع — اتفاق الدولة العلية وروسيا — السفر الى دمشق —

وكانت الباخرة سائرة تشق عباب البحر بسرعة

عظيمة كما اشتهرت بذلك عموم البواخر الفرنساويه

وكان الرفاق الاربعة يمشون على ظهرها ذهابا وايابا ينظرون الى غمامة بعيدة يظنونها يافا

وعادوا بعد برهة الى مقاعدهم فقال كاظم باشا مخاطبا فيروز

ماذا حدث بعد ان كتب رضا التحرير الى عين الحياة

بعد كتابة التحرير اتيته بعربة وركبنا فيها فسارت بنا الى سوق البادستان ووقفت على باب محل شيخ الجواهرجية

فنزلنا منها ودخلنا المحل وطلبنا من صاحبه التاج فاخرجه لنا من صندوق فساومناه على ثمنه فقبل بعد الجهد ان يبيعه بالفي واربعمائة وثلاثين جنيها

ورأى سيدي رضا خاتما ثمينا مرصعا بالاحجار الكريمة فاشتراه بثلاثمائة جنيه

فدفع سيدى رضا ثمن التاج والخاتم تحويلا على البنك العثماني ولما خرجنا من المحل انركب العربة خطر له

مر وهو ان يحفر على التاج من الداخل

« هدية من رضا ابن الوزير فائق باشا الى عين الحياة هانم عربون الوفاق » فعرضت عليه ذلك فقبل

وقصدنا اعظم الخطاطين واعلمناه برغوبنا بحفر على التاج ما اردناه وسلمني اياه ورجعنا الي المنزل

وفي اليوم الثاني قابل سيدى الوزير جلالة مولانا السلطان وبقيا مختليان في غرفة جلالته مدة وخرج سيدي بعد ذلك قاصدا الباب العالى

ولكن ما لبث ان خرج بصحبة نسيبه محمود نديم اباشا الصدر الاعظم وقصدا سفارة روسيا لمقابلة سفيرها الجنرال اغيتيفا

وبقيا مع السفير الى المساء وقبل الغروب خرجا وقصدا مقابلة جلالة السلطان واخبراه بانه تم الاتفاق بين الدولة العلية وروسيا ضد ممالك أوربا هجوميا دفاعيا

وفي تلك الليلة طلب سيدى الوزير من جلالة السلطان ان يأذن له بالسفر الى دمشق

فاذن جلالته له وامر ان تجهز السفينة الحربية

المسمات «السلميه» لنقلنا عليها الى بيروت

وبقينا أربعة أيام نعد معدات السفر وفى اليوم الخامس ذهب سيدى الوزير لوداع جلالة السلطان

وقبل ظهر ذلك اليوم قامت بنا السفينه الحربيه مرفوعا عليها العلم العثماني قاصدة بيروت

وكانت جدة رضا حين وداعها لنازك قد حملتها رسالة الى ابنتها فائقه هانم والدة رضا

سارت بنا السفينة تلاطمها الامواج العظيمة بسرعة البرق حتى وصلت في اليوم الخامس لقيامها ميناء بيروت

وكانت الانباء البرقيه قد سبقتنا الى بيروت فقابلنا على مياهها متصرفها(١) مع رؤساء الحكام ورؤساء الجهاديه وشرذمة من العساكر وانزلنا المتصرف في منزله تلك الليلة

ولما اصبح صباح اليوم التالى قصدنا دمشق فوصلناها ثاني يوم فقابلنا المشير وثلة من العسكر بالموسيقي العسكريه وخرج أهالي دمشق عمومها للقيانا

ومازالت الموسيقى تعزف حتى دخلنا سراى سيدى

---

(١) كانت بيروت في ذلك الحين متصرفيه

فائق باشا رحمة الله عليه

ولا تسل عما لاقت نازك من الاكرام لدى سيدتي فائقـه هانم والدة رضا فانها كانت تقبلها وتضـمها الى صدرها لظنها انها ستكون زوجـة ولدها رضا بك كما فهمت ذلك من التحرير المرسل لها من والدتها مع نازك

وتجمهر الجواري على الفتاة الحسـناء ينظرن الى محاسنها التي تفتن الالباب باندهاش وتعجب

فالبعض منهن ملن اليها وهن الرقيقات الشعور الصافيات القلوب والبعض لدغهن عقرب الغيرة لفرط حسن الفتاة ولكثرة مالقيت من الاكرام والاعتناء

وأتت رئيسـة الجواري وارادت ان تأخذ نازك معها لتعد لها غرفة كبقية الجوارى

ولكن الهانم منعتها من ذلك وامرتها بأن تفرش لها الغرفة التالية لغرفة سيدي رضا وان تعاملها كمعاملتها للهانم لانها تعتبر السيدة الثانية للمنزل

وأما نازك فكانت كأنها في حلم غير مصدقة ما تجري امامها فكانت لاترى الا امورا تبتسم لرؤياها

ووجوها تطفح سرورا عند مشاهدتها

ومما رأت نازك من الاكرام ومن لطف والدة رضا بك وقعت على اقدامها تبكي سرورا

فاقامتها الهانم وقبلتها في جبينها وسارت بها الى غرفة الجلوس وأجلستها بجانبها

وارادت الفتاة الحسناء ان تشكرها على حنوها عليها ولكن لسانها ارتبط واما عينيها فعبرتا عن الشكر الخالص

فلحظت ذلك سيدتي الهانم وفهمت تلك النظرة المعنوية وقالت

انك تستحقين كل اكرام يابنيتي

فانطلق لسان نازك بالشكر وقالت

من انا يامولاتي حتي اعامل هذه المعاملة اللطيفة لست الا جارية مشتراة المال

فأجابتها الهانم بلطف وهي تبتسم

يجب ان تعاملين أكثر من ذلك اكراما اولدي رضا

وهما في الحديث دخل سيدي رضا فقامت اليه والدته وكانت هذه اول مرة رأته بعد سفره الى الاستانة وطوقت عنقه بذراعيها وأخذت تقبله وتذرف الدموع

ثم اجلسته بجانبها وقالت

لقد طال غيابك عني ياولدي المحبوب فكم كنت أتعذب لفراقك وكم كنت انتظر قدومك بفارغ الصبر فكيف حال والدي وكيف رأيت الاستانة

فاجابها — انهما بخير ياوالدتي وقد حملاني اليك السلام اما الاستانة فجميلة ولكن كل لحظة بقربك ايتها الوالدة الحنونة احسن من كنوز الارض باسرها

وكانت سيدتي الهانم قد عشقت الفتاة نازك لفرط محاسنها فالتفت الي سيدي رضا بك واشارت له عنها وقالت

كيف اصطدت هذه الغزالة

فاجابها وهو يبتسم

أتيت بها من منزل رشدي باشا

فضحكت الهانم وقالت

أهنئك بها سلفا يا ولدي

وما كادت تتم كلامها حتى سمعت وقد أقدام

فحولت نظرها الى الباب فرأت سيدي الوزير آتيا

فاستقبلته ودخلت وإياه الغرفة وأما نازك فانها

خرجت مع توحيده رئيسة الخدم لتريها الغرفة المعدة لها

وبعد برهة لحقت بها الهانم وأخذت بذراعها

وسارتا الى نافورة في فناء المنزل وجلستا على مقعد بجانبها

وأما الوزير فانه لما اختلي بولده رضا سأله عن أخيه

أحمد افندي فأجابه بانه لم يره

فتعجب الوزير من عدم حضور أحمد أفندى

للسلام عليه ودعا اليه أحد الاغوات وسأله عن أحمد

أفندي فأخبره بانه منذ الظهر لم يره

وسمع الوزير حينذاك أقدام سريعة تقترب منه

فتطلع من الباب فرأي أحمد أفندى آتيا نحوه

فلما اقترب منه وتمانقا قال سيدي فائق باشا

أين كنت يا أحمد أفندي حتى الآن

اجابه وهو يروغ كثعلب

كنت في المدينة لاشغال فاعذرني يا أخي لعدم مقابلتي لك على المحطة

ولكرم أخلاق الوزير لم يتكدر منه بل قال لا بأس يا أخي ولكن أين ولدك أمين

أجابه ــ كان صحبتي وقد حضر معي

قال ــ وأين هو اني لا أراه

أجاب ــ لما وصلنا الحرم نظرنا جارية لم نرها قبل سفرك الى الاستانه جالسة مع سيدتي الهانم حرمكم فخطر لى انه لابد ان دولتكم أتيتم بها لتزوجوها الى ولدي أمين كما كنت أوصيتكم

فطلبت من ولدي أن يجالسها ويحادثها حتي اذا راقت في عينه تهبوها له

فتكدر الوزير من احمد افندي وولده ولكنه قال في نفسه انهما لا يعرفان ان نازك ستكون زوجة لرضا والتفت الى أحمد افندي وقال

لقد أخطات يا أحمد افندي اني أتيت بالجارية

لولدى رضا فلا حق لاحد ان يقترب منها

فقال احمد افندي باندهاش

وكيف ذلك ياأخي

فأجابه ـ كلامى لايحتاج الى التفسير

قال ـ واين الجارية التى أوصيتك ان تأتيني بها

اجاب ـ لم اجد جارية توافق ولدك امين

فتغير وجه احمد افندي وقال

فكيف اذن وجدت جارية توافق ولدك رضا

اذا كنت لم تجد مايوافق ولدي امين

اجاب ـ هذا الذي حصل ياأخي فادع امين

واخبره ان لاينظر الى تلك الجارية مطلقا

فنظر اليه احمد افندى بكدر وقال

اهكذا تريد

اجابه ـ نعم مادامت الجاريه ليست له

قال اتريد ان تقتل ولدي من الغيرة

اجاب وما الموجب لذلك

قال ـ لقد رأى ولدى الجاريه وبقاءه معها الآن

يدل على انها وقعت من نفسه موقعا عظيما

فاذا علم بان رضا سيسلبه اياها لا بد ان يموت او يصاب بداء الجنون

فاذا استحسن الجارية فهل تسمح له بها : واما رضا فيمكنك ان تأتى له بغيرها

فأجابه سيدى بكدر

ولكن رضا هو الذي اشترى تلك الجارية فهى له وليست لي

وبينما هما في الحديث دخل امين عليهما وتقدم من عمه وحياه وهنأه بعودته سالما

فسأله سيدي قائلا

اين كنت يا أمين

اجابه كنت صحبة والدي في دمشق لاشغال ضروريه ولما اتينا للسلام عليك وجدت الجاريه التى اتيتني بها مع حرمكم فأمرني والدي بان اتأكدها لارى اذا كانت تروق في عيني ففعلت

فأرجوك ياعمي ان تهبها لى فقد استأسرني جمالها

ولو علم الوزير ان ولده رضا لا يميل الى الزواج لنازك لوهبها لامين ولكنه كان يظن ان رضا يهواها ففضل مصلحة والده عن مصلحة غيره

ونظر الى امين فوجده ينظر اليه بتذلل فتأثر اذ تأكد انه يهوى الجارية فقال له

انت الجارية تخصني يابني لكنت وهبتها لك

فتلون امين وظهر عليه الكدر ولكنه لم يفه ببنت شفه

فنظر اليه والده احمد افندي وقد تكدر مما اصاب ولده وقال

هل اعجبتك الجارية

اجاب — نعم ياوالدي ولو لم تقع فى نفسي موقعا عظيما لما تجرأت بالكلام امام عمي

قال — اذن سيهبك اياها عمك مهما كانت الحاله فلاتتكدر ياولدي

فاستشاط الوزير غضبا وقال

كم أقول لك ان الجارية ليست لى فالحذر من

ان يقابلها احدكما

فقال احمد بصوت اجش من الغيظ

اتريد ان يموت ولدى اكراما لرضاء هذا شيء لا اصبر عليه

فنظر اليه بعين الغضب وقال

وماذا تفعل اذا لم اهبك الجارية

اجاب — سوف تري ما افعل

فاشتد بالوزير الغضب لتهديد احمد افندي له وانتهره قائلا

اتتهددني ايها الذل . ألى يقال هذا الكلام اخرج من امامي والويل لمن يمس الجارية بسوء

وكان سيدى رضا قد دخل الغرفة دون ان يشعروا به وسمع مادار بين والده وعمه

فلما خرج الاخير ووالده من الغرفة تقدم رضا بك من والده بهدوء وقال

لا تتكدر ياوالدى من عمي بسببي وهب نازك لامين اذا كان يرغب ان يتزوج بها فاني اتنازل له عنها

ولما كان الوزير متهيجا ومتكدرا من وعيد وتهديد احمد افندي وقال

كلا لا يكون ذلك ابدا فلا تعترضني فيما أريد

وكان يتكلم وهو يحرق اسنانه غيظا من احمد افندي وقد صعد الدم الى رأسه حتى صار منظره مخيفا

أما سيدي رضا فانه لما راى والده حانقا على عمه سكت خوفا من العاقبة

وبقى الوزير يسير في غرفته ذهابا وايابا مستسلما للغضب حتى قرب الغروب فدخلت عليه سيدتي الهانم زوجته وبصحبتها نازك فانتبه لنفسه وتقدم منهما وجلس على مقعد بجانبهما

وتلطفت هيئة الوزير اذ نظر نازك وسرى عنه بعض كدره ولكنه رأي آثار دموع على وجنتيها فسألها عن السبب

فحارت الفتاة جوابا والقت بنظرها الى الارض خجلا

ولحظت ذلك سيدتي الهانم فاجابت زوجها

عنها قائلة

ان سبب هذا الدموع تطفل امين علينا

فقال الوزير

وماذا فعل حدثيني

اجابت ــ لما أتى احمد افندي هو ووالده منذ ساعة
وجدنا جالسين بقرب النافورة

فتقدم احمد افنــدي وســألني عن نازك فاخبرته
بان رضا اتى بها من الاستانة لتخدمه

قال ــ هل اقترن بها

قلت ــ كلا لم يقترن بها بعد

قال ــ مادام الامر كذلك فساخذها لولدي
امين لانها جميله وتليق له

والتفت الى ولده امين بوقاحة وقال

اتعجبك هذه الجارية فاجابه

نعم

قال ــ اجلس بجانبها وحادثها حتى ادخل على عمك
واطلب منه ان يهبك اياها

وتركه وسار اليك

أما أمين فبعد ذهاب والده تقدم من نازك وأراد محادثتها ولكنها نفرت عنه وابتعدت عنه فاسرع وراءها وأراد أن يحادثها بكلام يخجل الفتيات فانتهرته وأمرته بان يذهب السلام عليك

فرفض وتقدم منها وهو يقول

كيف تريدين ابعادى عنها ووالدي قال أمامك انها صارت لى

ولما رأيت وقاحته أمرت فيروز أغا باخراجه رغما عنه

فلما رأى أمين ان فيروز يحول نحوه ليخرجه فر الى خارج الحرم وهو يتوعدني

فهز الوزير رأسه وسكت

وبعد أن تناول طعام العشاء دار بينهم حديث عن الاستانة حتي صارت الساعة العاشرة أفرنكية مساء فقصد كل غرفته

## الفصل العاشر

### « لا أطيق البعد عنك »

سار سيدي رضا الى غرفته وقبل أن يفتح بابها أحس بانسان يهرول نحوه فالتفت فرأى نازك تسرع اليه

أما الفتاة فانها حينما رأت أن رضا خرج قاصدا غرفته أسرعت وراءه ووقعت على أقدامه تبكى

فاندهش ولم يعلم السبب واقامها وسألها عما أبكاها

فازدادت بكاء وقالت بصوت مختنق

اشفق على ياسيدى

فاشفق رضا عليها وجذبها بلطف الى داخل غرفته وأقفل الباب وجلس بجانبها على مقعد وقال وقلبه يكاد يذوب شفقة عليها

لماذا تبكين يانازك

فاجابت وهي تشرق بدموعها

لقد اشتريتني وعتقتني كرما منك وخيرتني بين أن أعود الى منزل سيدى المتوفي رشدى باشا وان

أبقي معك

فآثرت البقاء كخادمة لك عن الرجوع الى منزل سيدى السابق لما ظهر لي من كرم أخلاقك وطيبة اصلك

آثرت البقاء لا لافترق عنك بل كي اكون حيثما تكون خادمة أمينة تضحي أثمن ثمين لديها في سبيل رضاك

ولكن ما كلما يتمنى المرء يدركه فاذا تزوجت بابن عمك فلا يعود لي سبيل الى رؤياك

فرحماك ياسيدى دافع عني لانى لا أطيق البعد عنك

ثم شهقت بالبكاء

ورأى سيدى دموع تلك الحسناء التى تشابه اللآلىء تسقي ورد خديها فاندهش وأظن أنه لو لم يكن قلبه مشغولا بحب عين الحياة لضمها الى صدره واقترن بها باسرع وقت

ولكن هو الحب صاحب السلطة على القلوب الذي

يخضع قلوب الجبابرة وتلين له طوعا الاكاسرة

شعر سيدي رضا لاول وهلة ان الفتاة تحبه حبا مبرحا فرأف بحالها ولكنها كانت كعثرة في سبيل زواجه بعين الحياة فاراد أن يتخلص منها ولكن باي كيفية

رأى أن أوفق طريقة لذلك هو ان يحببها في ابن عمه امين ويزرع فيها الميل اليه

ولكن انى له ذلك وقد تمكن في قلبها حبه وبغضها لامين فالتفت اليها وقال

لماذا تكرهين الزواج بامين ياعزيزة

اجابت ـ لانى قدمت نفسي لك فاريد ان اخدمك حتى الموت

قال ـ اقترانك بابن عمي لا يبعدك عنى بل تكونين دائما بالقرب مني كشقيقة لي

اجابت ـ كلا لا اريد الزواج والا اذا اردتم اجباري فاني اقتل نفسي بيدى فاشفق علي

فهطلت دموع سيدى رضا تأثرا وقال

مادمت لا تريدين الزواج بامين فلا احد يجبرك على ذلك

قالت ـ اتتعهد بانك تدافع عني وتمنع كل من يريد بي شراً

اجاب ـ ألا أتعهد فقط بل اقسم لك باني اقتص من كل من يمد اليك يداً

فاذهبي الى غرفتك ونامي مرتاحة البال ولا تشغلي نفسك بما يكدرك

فخرجت الفتاة ودخلت غرفتها وقد ذهب عنها خوفها

وبقي سيدي رضا في غرفته برهة مستيقظا لا يعرف كيف يتخلص من نازك حتى شعر بالنعاس فقام الى فراشه وقد عزم على ان يبذل جهده ليقنع نازك للاقتران بامين

وما كاد فيروزاغا يصل الى حديثه الى هنا حتى قرع جرس الباخرة ينبه الركاب لتناول طعام الغداء

*
* *

وبعد ان تناول اصحابنا الطعام تصعدوا مقاعدهم

وجلسوا عليها وقال كاظم باشا حدثنا بما حصل بعد خروج نازك من غرفة رضابك

فقال فيروز

فلنترك رضا بك ووالديه ونازك نائمين في فراشهم ولنشرح لكم ماحدث بعد ان طرد سيدي الوزير احمد افندي من الغرفة

خرج احمد افندي من الغرفة وهو يتهدد الوزير وتبعه ابنه الى السلاملك الخارجي ودخل احدى الغرف وجلسا على احد المقاعد صامتين

وبعد برهة اخذ احمد افندي يحدث نفسه قائلا

سأنفذ مانويته

فالتفت اليه ولده امين وقال

وماذا نويت ياوالدي

فانتبه لنفسه ونظر الى ولده وقال

هيا الى غرفتي فاخبرك بما عزمت على فعله

فسأله امين قائلا

هل ماستفعله يؤول الى توالي نازك

أجاب ـ نعم ياولدي فاني انما أفكر لصالحك

فنظر أمين الى والده باندهاش وقال

وكيف أنال نازك وابن عمي رضا لايقبل

أجابه ــ هيا معي الى غرفتي لاعلمك كيف تنالها

فاختفى الخادم تحت مقعد كان بالقرب منه حتى لايراه

وخرجا من الغرفة وقصدا غرفتها الخصوصية بالحرم ودخلاها وأقفلا الباب باعتناء فقال أمين

ــ كيف أتحصل على نازك ياوالدى العزيز

أجاب ــ يجب ان نقتل رضا كي نحصل عليها

فصرخ امين خائفا

أتقتله ياوالدى

فاجابه بحنق

نعم يجب أن نقتله فقد قررت ذلك ويجب تنفيذه

فقال امين وهو يرتعش

انا لا اوافقك على قتل ابن عمى

قال ــ ولماذا

اجاب — انه لا يستحق الموت

قال — ولكنك بقتله تنال السعادة الدائمة

اجاب — ها نحن نائلوها حال حياته فلماذا نسفك دما بريئا

قال — اننا نائلوها وعمك على قيد الحياة ولكن اذا توفي فاننا نطرد طرد الكلاب فلا نجد معنا مانقتات به فهل يسرك ذلك

اجاب — كلا ولكن كيف نطرد

قال — لقد اوصي عمك بالميراث جميعه الى ابنه رضا فتى توفي يستولى ابنه على الميراث

فان لم يطردنا رضا فوالدته نظرا لبغضها لنا تأمره بطردنا من منزله

فنخرج رغما عنا ونذل بعد العز والسعادة لاننا لانملك شروى نقير

فقال امين بعد ان سكت برهة

وهل اذا قتلنا رضا نستولى على اموال عمى

فاجاب الشقي

لاشك ياولدي لان لاوريث للوزير بعد رضا خلافك

فتردد الفتى في المصادقة على اقوال والده فلحظ الشقي ذلك فقال

اراك متردداً مت اذن من الجوع ودعه يتنعم كما يشاء

فاجابه — يصعب علي ان اوافقك على قتل رضا لانه عزيز لدي

قال — اذن فدعنا نموت جوعا او نستعطي

اجاب — كلا لاهذا ولا ذاك

وكاد يخيب رجاء احمد افندي لولا ان فطن في امر كان فيه الموافقة من امين فقال له

أتعدل عن زواجك بنازك

اجاب — كيف اعدل عنها وقد اوعدتني بان تنيلني اياها باي طريقة كانت

قال — لاطريقة تنيلك اياها الا قتله . . . تبصر في الامر يابني . أنا كبير السن فلا يهمني ان عاش رضا

مات واما انت فصغير السن وتحتاج الى نقود كي تبقى
سعيدا قبل وفاتي

فتغلبت على امين رداءة أصله وفازت الرذيلة على
الفضيلة فقال

ألا خطر علينا اذا قتل

اجاب الشقي وعيناه تلمعان سرورا

كلا ياولدي لاني لا افعل شيئا الا بعد التروي

وانقطع الحديث بينهما فنزعا ملابسهما واستلقيا
على فراشهما

---

## الفصل الحادي عشر

### ( محمود القهوجي )

أفاق سيدي رضا في صباح اليوم الثاني مبكراً
ودعاني اليه وقال

كيف العمل يافيروز في ايصال الهدية الى عين
الحياة والوصول اليها

فاوعدته بان اقابل جوهر أغا واتفق معه في ذلك
وافترقنا فسار هو الى ديوان العسكرية واستلم مهام
أشغاله

وأما أنا فقصدت سراي المشير وقابلت جوهر أغا
واخبرته بما دار بيني وبين سيدى رضا فقال انه مستعد
لكل مايطلبه منه

فشكرته ورجعت الى السراى

وفي الساعة الثانية بعد الظهر وانا في غرفتي
سمعت صوت سيدي الوزير فائق باشا في الفناء الخارجي
يدوى كالرعد قائلا

أين محمود القهوجي

فاسرعت الى الخارج لارى ما الخبر فرأيت الوزير
يقول الى احد الخدم والشرر يتطاير من عينيه

اذهب وادع محمود القهوجي

وكان محمود القهوجي المسكين قد سمع صوت
الوزير فاسرع اليه وهو يكاد يتعثر باذياله وقال

ـ ها أنا ذا ياسيدى

وما كاد القهوجي يقترب منه حتى امر سيدى عبدين من الاشداء بان يطرحاه على الارض وعبدين آخرين بان يضرباه بالسوط حتى تفارق روحه الجسد

ولما رأيت ان لا ذنب للقهوجي المسكين يستحق عليه الموت تقدمت من سيدى وقلت

ما السبب ياسيدي حتى تريد هلاكه

فاجابني بلطمة شديدة على وجهي أجبرتني على السكوت والابتعاد عنه

وصرخ فى العبيد قائلا

ماذا تنتظرون أيها اللئام

فبرك أحد العبيد على اكتاف القهوجي المسكين وبرك آخر على رجليه

واخذ العبدان الآخران ينزلان عليه بالسوط بدون شفقة خوفا من غضب الوزير اذ تهاونا

فأخذ القهوجي يستغيث ولا يغاث وقد أدار الوزير ظهره حتى لا يرى الضرب النازل كالمطر

فرثيت لحال القهوجي وفتحت باب السراي حتى يسمع احد الجيران صراخه فيدخل ويتوسط في خلاصه

وتصادف ان احمد بك .. احد اعضاء المجلس العسكري كان مارا فسمع استغاثة محمود القهوجي فشق الجمع المتجمهر حول الباب ودخل السراي وتقدم من سيدي وطلب منه ان يبطل الضرب لئلا يموت القهوجي

فنظر اليه سيدي نظرة غضب وامره بالخروج من السراى ولكن احمد بك قال له

اشفق عليه والا فانه هالك لا محاله

فتقدم منه واخذ يدفعه بيديه حتى اخرجه خارج السراى

ووقتها فتحت احدى النوافذ وأطلت منها سيدتي الهانم واذ رأت القهوجي يستغيث والعبدين يضربانه بلا رحمة صرخت فيهما قائلة كفا عن الضرب فقد اهلكتماه

فرمقها الوزير بعين يتطاير منها الشرر وقال

اغلقي النافذة فلاشأن لك في ذلك

ولكنتها لم تهتم بل تهددت العبدين ان لم يوقفا الضرب بالهلاك فاوقف احد العبيد الضرب حسب امرها فهجم عليه سيدي الوزير واخذ السوط من يديه ونزل عليه ضربا مؤلما وقال

قسما بالله ان ابطلت الضرب عنه فاني ازيل رأسك

وأما المسكين القهوجي محمود فان انفاسه خمدت من ألم الضرب وغاب عن الصواب

فصرخت سيدتي الهانم في زوجها قائلة

حرام عليك ياظالم فقد قتلته

ثم استغاثت بالمجتمعين حول الباب بان يذهب احدهم ويدع والدها رضا بك

والظاهر ان احد المجتمعين لبي طلبها اذ رأينا بعد برهة سيدى رضا بك اتيا بسرعة

ولما شاهد هذا المنظر المحزن أمر العبيد بان تبتعد عن محمود القهوجي وتكف عن الضرب

وخوفا من غضب الوزير لم يسمعوا كلامه فهجم
عليهم وانتزع سوطاً من أحدهم ونزل به عليهم ضربا مؤلما
ففروا من امامه يئنون من ألم الضرب

فغضب الوزير من عمل سيدي رضابك وتقدم
منه كي يبعده حتى يعاود العبيد الضرب

ولكن سيدى رضا وقف في وجهه وقال

أما كفاك ما عملته به

فاجابه ـ كلا . أريد أن يموت هذا النذل فاتركه
واخرج من امامي

قال ـ وان لم اخرج

اجاب ـ آمر العبيد بان تميتك معه ضرباً بالسياط

فصعد الدم الى رأس سيدى رضا بك وقال

تأكد انى مادمت حياً ارزق فلا اتركك تمد اليه يداً

فاشتد الغضب بسيدي الوزير وتقدم من ولده
ورفع يده واراد ان يلطمه بها

ولكن سيدي رضا بك امسك بيديه وقال

ماهذه الافعال ياسيدي ما هذا الظلم أأنت هو

فائق باشا المشهور في دولة آل عثمان بالعدل والرأفة ام تغيرت أطوارك فبت تستعمل الاستبداد والظلم في اعمالك مع رجالك وخدمك

فارجوك ياوالدي ان تدخل الحرم حتى يهدأ ثائرك فكفاك مافعلته من الظلم

فنظر اليه الوزير نظرة التهديد وقال

سأجازيك على كلامك

ثم ترك المنزل وخرج

فتقدم سيدي رضا من محمود القهوجي ليرى اذا كان لازال فيه بقية من الحياة

وامر بنقله الى غرفته وطلب طبيبه الحاذق سمعان افندي وامره بفحص القهوجي

ففحصه وقال

لقد أثر في جسمه الضرب فحياته باتت في خطر شديد

فأمره سيدي رضا بأن يبذل الهمة في تطبيبه

ثم تركه ودخل الحرم ليسأل والدته عن الاسباب

التي الزمت والده على ضرب محمود

دخل على والدته فرآها متكدرة لما أصاب القهوجي المسكين ولما رأته من زوجها من القسوة والاستبداد في الرأي العام مما لم تعهدهما فيه

فلما رأته قامت اليه وقبلته واجلسته بجانبها فسألها عن سبب كدرها فقالت

ألم تنظر ماجرى لمحمود القهوجي المسكين

قال ـ وماذنبه حتى اذاقه هذا الضرب المؤلم

قالت ـ لست اعلم ياولدي فلا زال السبب طي الكتمان

قال ـ سأعلم السبب من الخدم

وتركها وخرج الى خارج الحرم وأخذ يسأل الخدم الواحد بعد الآخر عن سبب غضب والده على محمود القهوجى

فكانوا اكثر منه اندهاشا وتعجبا مما حدث

فتركهم وقصد غرفة المريض وسأل الطبيب سمعان عنه فاخبره بانه غائب عن الصواب ولم تظهر

النتيجة بعد

فخرج سيدي رضا الى البهو واخذ يمشي فيه ذهابا وايابا وسبح في بحر من الافكار

وكان يفكر فيما فعله والده مع ما هو مشهور عليه من الرأفة والحلم في معاملة خدميه ومستخدميه

وتأكد له ان الامر لايخلو من دسيسة ضد محمود أو ذنب فعله حتى كدر والده منه كدراً شديداً

وكان يخاطب نفسه قائلا

لابد ان محمود اغضب والدي حتى لو لم اسرع في خلاصه لكان اهلكه . ولكن لا أظن ان هفوة طفيفة تستوجب هلاكه كما كان سيدى عازما على ذلك ولا أصدق ان محمود يحيد عن الصواب حتي يتكدر والدي منه لانه عاقل

اذن ففي المسألة سر

وما زال سيدي رضا بك كذلك حتي الغروب فشعر بوقع اقدام على ارض السراي فانتبه ورأى والده داخلا قاطب الحاجبين

فتقدم سيدى رضا بك ليقبل يده ولكنه رفض وقال بغضب

ألى هذا تجاسر وتمنعني عن عمل ما اريده وتكافني بما لم اكن انتظره منك

فتكدر سيدي رضا بك لكدر والده وقال

عفوك ياوالدي على ماصدر مني ولكني فعلت ذلك خوفاً لئلا اقامات محمود من الضرب يلقبك الاعداء بالظلم

فاجابه ـ وكيف علمت اني لست عدلاً فيما فعلته

قال ـ هل عمل محمود مايستحق الموت عليه

اجاب ـ نعم لقد تجاسر الخائن ودخل الحرم

فاصفر وجه سيدى رضا بك ولكنه تجلد ليعرف سر المسألة وقال

هل تحققت ذلك

اجاب ـ كيف لا ولولم اتحقق الامر لما كنت امرت له لاسيما وانت أعلم بما انطويت عليه من الرأفة على الخدم

قال اذا كان الامر كما ذكرت فلا عقاب له الا الموت

اجاب ـ نعم لا عقاب له الا الموت فهل هو حي

بعد

قال انه فى حالة النزاع

فصرخ سيدي الوزير صرخة دوت لها السراية وقال

يجب ان يموت حالا

وكان سيدى رضا بك يريد ان يتحقق خيانة محمود قبل هلاكه لئلا تكون وشاية واش فيموت القهوجي بريئا ويظل الشك في نفس الوزير من جهة حرمه

وهجم الوزير يريد دخول غرفة محمود القهوجي كي يقضي عليه فوقف سيدي رضا في وجهه وقال

هدىء ثائرك ايها الوالد وانا اتعهد لك بقتل هذا الخائن

فصاح فيه الوزير اغرب عني أيها الوغد والا قتلتك

فتقدم منه سيدى رضا بتأن وقال

اقتلني

فنظر اليه نظرة من اصيب بجنون وقال

سأريك عاقبة عملك هذا

قال ذلك وقصد الحرم وشاربيه يرقصان غضبا

فتبعه سيدى رضا الى داخل الحرم

فمر سيدي الوزير بزوجته فلم يلتفت اليها وسار
الى قاعة الجلوس

ونظرت سيدتي الهانم ولدها رضا ادخلا فهرولت
نحوه وهي قلقة وقالت

هل عرفت السبب في ضرب القهوجي المسكين

اجابها ـ اخبرني والدي انه دخل الحرم

فاصفرت الهانم وقالت

ألم يخبرك مع من كان فى الحرم

أجابها ـ كلا

قالت ـ وكيف حال محمود الان

اجابها ـ لا يزال غائبا عن الصواب وفي حالة الخطر

فبكت الهانم وقالت

وددت لو كان محمود يعود الى صوابه

فاندهش سيدى رضا وقال

لماذا تبكين ماذا يهمك ان عاش محمود أو مات

فقالت وهي تكفكف دموعها

انى خائفة لئلا تكون التهمة موجهة الي فيموت

ويبقى سر المسألة مدفون معه فاعيش ذليلة مع والدك

طول حياتى

فهز رضا بك رأسه وقال

ماهذه الافكار ياوالدتى

قالت ـ الا ترى كيف ان والدك متكدر حتى انه

لم يلتفت الي حين دخوله

فلو كانت التهمة موجهة الى خلافي من الجواري

لما اهتم هذا الاهتمام وامر بقتل القهوجي المسكين

فاتضح لسيدى رضا خطارة الموقف ولكنه اراد

ان يخفف عن والدته ما ألم بها حتى يكشف سر المسألة

فقال لها

اذهبي عنك هذه الافكار وسينكشف كل مستور

فيتأكد والدى خطأه

* * *

جرج سيدى رضا بك من الحرم والافكار تناوشه كما تناوش طلائع الجيش اعدائها وقصد غرفة محمود القهوجي

وكان الطبيب سمعان جالسا على كرسي بجانب القهوجي يتطلع الى وجهه ويفحص جسمه ودلائل البشر بادية على وجهه

فقال سيدي رضا بك

كيف حال محمود ياسمعان

اجاب وهو يبتسم

لقد ابتدأ ان يشعر بالالم وهذا دليل على ان الخطر زال عنه

فقال سيدي رضا وقد سر

اعتن به ياسمعان لان حياته عزيزة عندي

***

وكان خبر اتهام محمود القهوجي بدخوله الحرم قد ذاع في السراى وتناقلته السن الخدم

وانزوت الجوارى كل منهن في غرفتها خوفا لئلا

يسيء سيدى الوزير بها الظن

وأما صديقة رئيسة الجواري فانها جلست بجانب النافوره في وسط المنزل تلعب بيديها في الماء

---

## الفصل الثاني عشر

« الواشية »

لما مد الظلام خيامه فى مساء ذلك اليوم الذي ضرب محمود القهوجي وشمل السكون السراي خرج سيدى رضا من الحرم يدور على غرف الخدم والجوارى متلصصا عساه يسمع خبراً

وبينما هو مار بغرف الجوارى سمع همساً من احداها فوضع عينيه على ثقب القفل فرأى على النور الضئيل جاريتين جالستين بالقرب من بعضهما وسمعهما يقولان همساً

هل تعرفى يابحر الزين من السبب فيما اصاب محمود القهوجي وكدر سيدنا الوزير

ــ كلا يازهرة ومن هو

ـ سيدتي صديقة رئيستنا

ـ وكيف ذلك ؟

ـ اليوم بعد الظهر بعد ان تناول سيدى الوزير الطعام وقصد غرفته كي ينام ذهبت انا الى غرفة سيدتي الهانم كي اكنسها واكنس المشى ايضا

وأنا كذلك سمعت وقع اقدام خفيفة بحذر فاختفيت وراء الباب فرأيت رئيستنا صديقة آتية

وبقيت مختفية لاعلم سبب تحذرها فرأيتها وقفت على باب سيدي الوزير والتفت ذات اليمين وذات الشمال ولما لم تر احداً نقرت على الباب نقراً خفيفا

ففتح لها الباب فدخلت وأقفلته وراءها

وبعد برهة فتح الباب وخرج سيدى الوزير والشرر يتطاير من عينيه ونادى محمود القهوجي وأمر العبيد بضربه واولا حضور سيدي رضا لكان قتله

وأما رئيستنا صديقة فانها خرجت من غرفة الوزير وهي تبتسم ابتسام الظافر وقصدت احدى النوافذ وأخذت تتطلع على السياط النازلة كالمطر على جسم ذلك

جسم ذاك المسكين وهي تضحك

ــ ورأس سيدنا الذي يازهره انه مظلوم وقد كاد قلبي ان يتمزق شفقة عليه

ولا اصدق انه دخل الحرم لانه عاقل فلا بد ان وشت به هذه اللعينة لغاية في نفسها

حقا هو مظلوم يابحر الزين فقد لاحظت مراراً انه اذا أراد شيئاً من مطبخ الحرم فانه كان لا يقترب من الدولاب (١) المعد لذلك بل يطلب من احد الاغوات ان يأتيه به حتى لا يتداخل مع الجواري في الحديث

وانقطع الحديث بين الجاريتين فظن سيدى انهما يريدان النوم فنقر على الباب

فاصاب الجاريتين خوف شديد وقامت زهره الى الباب وفتحته فاذ رأت سيدى رضا انذعرت وتغير

---

(١) الدولاب هو عبارة عن خزانة من الخشب يستعملها وزراء الدولة العلية تدورحول محور من الحديد موضوعة في نافذة بين مطبخ الحرم وغرفة المائدة في سلاملك الرجال

فاذا اراد احد الخدم شيئا ينقر على الدولاب فتضع احدى الجواري طلبه في الباب وتديره فيستلم الخادم طلبه دون ان يراها

لونها واستندت بالحائط لئلا تسقط

فلحظ سيدي رضا ما اصاب الجارية من الخوف فامسك بيدها وقال

تعال يازهره واخبريني ماذا كنتما تتحادثان

فارتجفت الجارية ولم تنبس ببنت شفة

فاجابت عنها بحر الزين

كنت اطلب منها ان تنزع ما عليها من الثياب كي تنام

فرمقها سيدي بنظرة ارتجف لها جسمها وقال

انك تكذبين

فقالت وهي ترتجف كمن اصيب برعشة

سيدي عفوك

قال لا بأس تكلمي فلا خوف عليك

فشرحت له الجارية بحر الزين ما حدثتها به زهره

فهز رأسه وقال في نفسه الويل للشقيه صديقه

ثم التفت الى زهره وقال لها

هل سمعت مادار بين صديقه ووالدي

أجابت — كلا يا سيدي والا لما كنت تأخرت

عن اخبارك

قال ابقياهنا ولا تفوها بكلمة حتى اعود اليكما

***

بعد الظهر بساعة وربع وقفت الباخرة على ميناء

يافا وتسابق الركاب للنزول اليها للفرجة

وأسرع بائعوا الفاكهة الى الباخرة ليبيعوا فاكهتهم

الى الركاب الذين فضلوا البقاء فيها

واما اصحابنا الاربعة فانهم فضلوا البقاء وابتاعوا

من الفاكهة ما تاقت اليه نفوسهم وظلوا على ظهر الباخرة

حتى قبيل الغروب فانهزت بهم وسارت تشق عباب

البحر

فعادوا الى مراكزهم وقال كاظم باشا الى فيروزاغا

حدثنا ماذا جرى بعد خروج سيدك رضا بك من

غرفة الجاريتين

فقال فيروز

عيروني سمعكم

ترك سيدي رضا الجاريتين فى ارتباك وقصد
غرفة محمود القهوجى وسأل الطبيب عنه
فاجابه ان صحته تحسنت عن قبل
فسأله سيدى اذا كان فى الامكان محادثته
فطلب منه الطبيب بان يترك ذلك الى الغد
فاجابه ـ لا يمكن التمهل لان الامر جلل
فقال الطبيب ـ تمهل قليلا ريثما أنبه العليل
وتقدم سمعان افندى ونبهه وقال
سيدك رضا يريد محادثتك
فتحرك العليل قليلا ولكنه صرح متألما
فتقدم منه سيدي رضا بلطف وقال بلطف
كن كما كنت يامحمود فهل تقدر ان تجاوبنى على
ماالقيه عليك من السؤآلات
فاجابه بصوت يكاديكون أنينا
سل ماشئت ياسيدي فانا خادمك وعبدك
افديك بحياتى
فبعدسكوت قال سيدي رضا

ماذا فعلت يامحمود حتى كدرت الوزير

اجاب ـ لا اعلم انى اقترفت ذنبا استحق عليه الموت

قال ـ الم تتداخل مع النساء في الحرم

فارتجف القهوجي المسكين ارتجافا كاد يؤدى به الى التلف وأن أنينا محزنا من الالم الذي تسبب من ذلك وقال

رحماك . نعم . نعم فانا ذنبي عظيم وعفوك أعظم

قال ـ لا بأس حدثني ماذا حدث يامحمود ولا خوف عليك

قال ـ اليوم فى الساعة الواحدة بعد الظهر بعد ان نام سيدى الوزير والخدم خرجت من باب السراى لاشتداد الحر وتمشيت الهوينا على شاطئ نهر القنوات

فمررت بباب حديقة الحرم الخارجى فوجدته مفتوحا فظننت ان اليوم هو من الايام المعينة لري الحديقة ووجود « الجنائنيه » بها لتصليحها

فدخلت من الباب ولكنى اندهشت اذ رأيت أبواب الحرم ونوافذه مفتحة

فاردت الرجوع قبل ان يراني أحد فيظن بي سوءا
ولكن أوقفني صوت من النوافذ يناديني قائلا
قف يامحمود واقترب من النافذة
فالتفت لأري صاحب الصوت فوجدت جارية
في نافذة تشير لي بالدنو منها
فتقدمت وانا راجف القلب وعيني لا ترتفع اليها
وسألتها ماذا تريد مني
فقالت بصوت رقيق
ألا تراني جميلة في عينيك يامحمود
فسكت ولم أجاوبها واردت الرجوع حتى لا يراني
من يشي بي الى سيدى الوزير فيهلكني
وخطر لى ايضا انها لربما تكون ظنت بي سوءا
لدخولى الحديقة اليوم فارادت ان تجربني
ولما رأتنى عازما على الرجوع قالت بصوت يسيل رقة
الم ارق في عينيك حتى انك لا تنكف اجابتي ام
هذا دلال منك الست جميلة انظر الي
فقلت لها وقد خجلت من قولها

ومن انا ياسيدتى حتي تحادثيني بحديث اهل الغرام

فاجابتنى قائلة

لست احادثك باحاديث اهل الهوي ولكني اريد ان اتزوج بك لانك منذ دخلت في خدمة الوزير ورأيتك وقعت فى نفسي موقعا عظيما

ولطالما كنت انتهز الفرص لمقابلتك كى اعرض عليك الاقتران بى ولكن لم يتسن لى ذلك الا اليوم

فهل تقبل بي زوجة لك

اجبتها — انى لى ان انال هذا الشرف ياسيدتى

قالت — اذا عاهدتني على الاقتران بى فانى انيلك مرغوبك

قلت — انى طوع امرك

قالت — اذن فاذهب قبل ان يراك احدفيشي بك ويكون سبب هلاكنا

ولم اصدق ان تخلصت منها حتى هرولت الى الخارج ورجعت الى السراى

وما كدت اجتاز بابها حتى رأيت الخدم تتسارع

الى وتناديني قائلة اجب سيدك الوزير

فأسرعت الى والدك وما كدت اقف امامه حتى امر العبيد بضربي

فطرحوني ونزلوا على جسدي بالسياط حتى غبت عن الصواب

هذا هو ذنبي فاصفح عن تهوري بدخول الحديقة ومحادثتي لمن كلمتني

فقال سيدي رضا وقد تعجب مما حدث وقال

اذا كان ماقلته حقا فتأكد ان لاخوف عليك ولكن اتعرف مع من تكلمت

اجاب ـ كلا لان لامعرفة لى بنساء الحرم مطلقا ولا تداخل لى معهن

قال ـ صف لى شكلها وهيئتها

اجاب ـ لم انتبه ولكن لحظت على خدها الايمن خال

قال اذن فهي صاحبة الخال

اجاب ـ نعم

قال ـ متى تأكد الخبر اعف عنك

والتفت الى سمعان الطبيب وقال له

اعتن به ماقدرت لينال الشفاء

وكان قد صارت الساعة السادسة مساء وقرع جرس الباخرة لتناول طعام العشاء فقام الاربعة الى غرفة المائدة

---

## ﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

## الانتقام من الواشين

في تلك الليلة كان القمر ساطعا يشابه سلطانا عظيما تحتاط به جيوش من الانجم

وكانت السماء وبها النجوم تشابه صحيفة زرقاء مرصعة بقطع من ماس تسطع وتلمع فتدهش الانظار

وهب النسيم بشدة فسمع له صفير شابه نغم الاوتار فرقصت له الباخرة طربا وتمايلت في مسيرها عجبا

وكان الركاب على ظهر الباخرة ازواجا وأفراد وزرافات فالرجل واسرته والعاشق ومعشوقته والصديق

وصديقه يتمشون على ظهرها ممتعين الانظار بما يبهر الابصار

وانفرد بعد برهة من الزمن اصحابنا الاربعة عن أولئك الركاب وقصدوا محل اجتماعهم

فقال فيروز اغا يخاطب البقية

أظنكم تريدون ان أكمل لكم الحديث

فاجابه كاظم باشا مبتسما

ما أشد نباهتك

قال - خرج سيدي رضا بك من غرفة محمود القهوجي وهو يقول الويل للواشية اذا كان محمود صادقا في قوله

وقصد غرفتي وقال

اذهب يافيروز وأتني بالشيخ حسين بواب حديقة الحرم الخارجي فلبيت امره وذهبت واتيته بالشيخ حسين

فامسكه من يده وابتعد عني قليلا

وقال له

ـ أين كنت اليوم الساعة الواحدة بعد الظهر

أجاب ـ كنت في السراى

قال كذبت

اجاب ـ اقسم برأس سيدى اني لم افارق السراي

قال لقد كان باب الحرم المؤدى الى الحديقة مفتوحا ولم تكن موجودا لحراسته . فاين كنت صادقني الخبر

اجاب ـ في الساعة الواحدة الاربع رددت باب الحرم وقصدت « المصلى » لاقضي فرض الصلاة ولما رجعت وجدت ان الهواء فتح الباب فرددته ثانيا وجلست على باب غرفتي

ولكن لماذا ياسيدي تسألني هل حدث شيء

أجاب ـ كلا لم يحدث شيء

ثم ترك البواب في اندهال وقصد الحرم ودخل على والديه فوجد كلا منهما جالسا على مقعد ساكنين لا ينبشا ببنت شفة

فانتبه سيدى الوزير الى دخول رضا باك وقال له

اخبرني هل مات محمود

اجاب ـ هو في دور النزاع

قال ـ لماذا تبقي عليه اقتله

أجاب ـ لا يعيش اكثر من ساعتين فاصرف عنك الكدر لئلا يؤثر في صحتك

قال لا يزول عني كدري الا اذا اتاني الخبر بموته فاذهب من امامي ومتى مات ارسل لي فيروز يخبرني بذلك

وكان قصد سيدي تأجيل البحث في سبب الوشاية الى الغد ولكن كدر والده وتصميمه على قتل محمود أجبره في ان لا ينام تلك الليلة حتى يكشف سر المسألة

ولكن كيف يكشفها وسر المسألة مع صديقه لا يتسنى له ذلك الا اذا ادخل الواشيه غرفته واجبرها على الاقرار

قصد سيدي رضا غرفة الجاريتين زهره وبحر الزين وفتح بابها ودخل عليهما وقال لهما

اتبعاني دون تفوها بكلمة

ثم صعد بهما الى الطبقة الثانية حيث غرفته وادخلهما فيها وقال لهما

اختبئا تحت السرير دون ان تحركا ساكنا حتى اذعوكما الى الخروج

ثم اقفل الباب ووضع مفتاحه في جيبه وسار مفكرا في كيف يحتال على ادخال صديقه غرفته

نزل الى الطبقة التي فيها الجواري وبينما هو سائر رأي نازل جالسة في الايوان تبكي

فتقدم منها وسألها عن سبب بكائها

فأجابت وهي تشرق بدموعها

ابكي لما اصاب سيدتي الهانم من الكدر بسبب ما حصل اليوم

وقد بكت الكرجية الحسناء نازك لهول ما رأت واثر فيها ضرب محمود القهوجي وغضب الوزير وكدر الهانم فانزوت في الايوان واخذت في البكاء ومما اصابها من الخوف بقيت في مكانها تذرف الدمع

فاشفق سيدي رضا عليها وقال لها

هيا معي فبقاءك هنا يضربك

فقامت الفتاة مستسلمة له مجيبة لداعي قلبها وسارت معه فمرا بصديقه رئيسة الجواري وكانت لاتزال باقية في مكانها بقرب النافوره تداعب الماء بانامها

فتقدما منها وقال سيدي رضا لها

اذا كان كدر والدي منعهما عن الالعاب الى نازك افما كان الاجدر بك ان تقتربي منها وتسليها حتى تذهبي مابها من الكدر عن ان تجاسى هنا

فاجابت الواشيه

خفت لئلا تنفر مني

قال كلا نازك لا تنفر من احد فخذيها وهاك مفتاح غرفتي فسيري بها اليها

وعلى المضدة تجدا ورق اللعب فتسليا به حتي يذهب مابنازك من الخوف والكدر

فصعدنا الى الطبقة الثانيـة ودخلنا الغرفة فلحق بهما سيدي رضا ودخل وراءهما واقفل الباب من الداخل ووضع المفتاح في جيبه

واحست الواشية بخوف اذ رأت سيدي رضا اقفل الباب فسألته عن السبب

فاجابها قائلا

ستعلمين الان

ورأته ينظر اليها شذرا فشعرت بانها ستكافأ على وشايتها فاسرعت الى الباب كي تعالجه لتخرج ولكن سيدي رضا لم يمكنها بل نادى الجاريتين فخرجتا من تحت سريره

فامرهما بان يطرحاها على الارض ففعلا وكان في خزانته سوطاً عجيب الصنع فاخرجه ونزل به عليها ضربا يمزق الجسد بدون شفقة ولا رحمة وهو يقول لها اقرى ايتها اللعينة بما فعلت

فكانت تستغيث وتسترحمه كي يشفق عليها ولكنه كان يزداد قسوة وضربا

وسمع صراخها سيدي الوزير وزوجته والجواري والخدم فاسرعوا الى الباب ووقفوا حوله

فطرق سيدي الوزير الباب بشدة وقال

افتح الباب يارضا

ولم يجبه بل زاد الضرب

فاشتد بالوزير الغيظ واخذ يتهدده ويتوعده ان لم

يفتح ولما لم ير من مجيب امر بكسر الباب

فتلافت الامر سيدتي المام وقالت

افتح الباب يارضا

فاجابها من الداخل وهو نازل بالسوط على

صديقه قائلا

لا افتح حتى اقضي على هذه الخائنة

فقالت له بنوع من الترجي

افتح ياولدي الباب اكراما لي

ففتح رضا الباب فدخل سيدي الوزير والشرر

يتطاير من عينيه وقال له

كيف تتجاسر أيها الوغد وتضرب الجوارى

فاجابه سيدي رضا

اكيل لها الصاع صاعين ، هذه اجرتها ايها الوالد

على خيانتها

فنظر اليه شذرا وقال

اخرج من هنا الآن

أجاب ـ حتى اقضي على هذه الخائنة

وخشيت سيدتي الهانم ألا يحدث مالا تحمد عقباه فتداخلت بينهما والتفتت الى ولدها وقالت

اخبرنا ياولدي عن سبب ضربك صديقه

اجاب ـ تستحق هذه الخائنة الموت لأنها وشت بمحمود القهوجي المسكين وهو برئ حتى يقتله والدي فيلقبه الناس بالظالم

فانتبه سيدي الوزير الى كلام سيدي رضا وقال مخاطبا ولده

امحمود برئ

أجاب ـ نعم

قال الوزير مندهشا

كيف اتضح لك ذلك

فشرح له سيدي رضا اقرار محمود القهوجي وما تكلمت به الجاريتان سرا في غرفتهما وما ظهر له من

خبث صديقه

فكذبته صديقه

فقال له والده

انظر واسمع فان صديقه تكذبك فكيف تثبت عليها مع انها تقول ان محمود هو الذي تجاسر وكلمها بما اخجلها وكدرها متفقا مع الشيخ حسين البواب

اجاب ـ لو فرضنا انه كما ادعت اتفق مع الشيخ حسين ودخل الحديقة فلماذا لما رأته بقيت في النافذة وكان الاجدر بها ان تغلقها وتستتر حتى لا يراها وتنادي احد الاغوات كي ينبهه او يخرجه رغماً عنه

انها بقيت في النافذة لغرض في نفسها . لتستغويه فنادته وعرضت عليه الزواج مرغبة اياه في حسنها وجمالها

ثم وشت به حتى تستفز غضبكم على ذلك الشيخ الكهل حسين البواب الذي خدمكم عدة سنين بامانة مدعية بانه متفقا مع محمود كي تستبدلوه ببواب آخر فتتفق معه لانه من المستحيل اتفاقها مع حسين وتنال بذلك اربها

فصمت الوزير برهة وقد ظهرت الحقيقة وقال

صدقت

ثم اختطف السوط من يد ولده وهجم على صديقه

كي يقضي عليها

فاستغاثت بالهانم فاشفقت سيدتي عليها وحالت

بينها وبين زوجها

وطلبت منه أن يعاقبها بغير الضرب

فاجابها الى طلبها وطردها من الغرفة وعين بدلها

جارية اخرى

اما سيدي الوزير فانه ندم على تسرعه في الانتقام

من محمود والتفت الى رضا وقال

كيف حال محمود

اجاب ـ صحته تحسنت ولا خطر على حياته

فقبل الوزير ولده وقال

احمد الله ياولدي الذي الهمك الى نجاة هذا المسكين

ثم أخذ بيد زوجته وخرج وقد صفا قلبه وتبعه

سيدي رضا ونازك جنبا الى جنب وافئدة الجميع تطفح

سروراً

وكانت اكثرهم سرورا نازك لشهامة سيدي رضا . فمع كونه يحبها كشقيقة كانت تحبه حبا يقصر عن حد التصور

فباتت مغرمة به عاشقة له لا يهنأ لها عيش الا اذا راته وكان كلما اكرمها وعاملها بما انطبعت عليه نفسه من كرم الاخلاق ظنت انه مغرم بها فتتمكن فيها عاطفة الميل اليه

وكان كلما نظر اليها او حادثها تحمر خجلا وتلقي بنظرها الى الارض

ساروا الى الحرم وتناولوا الطعام وتحدثوا وكان موضوع حديثهم ما حصل في ذلك اليوم

ولما صارت الساعة العاشرة ونصف مساء قصد كل غرفته للراحة

## الفصل الرابع عشر

### الاتفاق على هلاك رضا

فلنترك ايها الوزير سيدي رضا ووالديه وازك مستغرقين في نومهم ولنشرح لكم ماذا فعل احمد افندى(١) عم رضا بك بعد ان اتفق هو وابنه امين على هلاك سيدي رضا

كان داخل غرفة احمد افندى غرفة اخرى لولده امين فلما اتفقا على ماذكرناه من هلاك سيدى رضا نزعا ما عليهما من الملابس وقصد امين غرفته للنوم

نام الشقيان وعين الله لم تنم ولم يستيقظا الا واعتلت الشمس قبة الفلك فلبسا ثيابهما وخرجا الى المدينة

ورجعا الظهر تماما فتناولا الطعام وقصد غرفتيهما للراحة كالعادة فايقظهما صراخ محمود القهوجي حين كان العبيد يضربونه بامر سيدى الوزير

وكانت نوافذ غرفته وغرفة والده تطل على ذلك المكان ففتحاها واطلا منها على ما كان حاصل دون ان

---

(١) انظر الفصل العاشر من هذا العدد

يعلما السبب

ولكنهما سرا اذا رايا سيدي الوزير يتوعد ويتهدد ولده وظن احمد افندي انه سيبطل وصيته في الميراث ويحرم ولده منه

فلم يفارق هو وولده السراي بل بقينا في غرفة جلوسهما الخصوصية يسمعان ما يحدث بين سيدى الوزير وولده رضا

وبقيا كذلك حتى سمعا استغاثة صديقه وعلما ان الوزير اقتنع ببراءة محمود

فكدرهما عودة المياه الى مجاريها بين سيدي الوزير وولده رضا فاخذ احمد افندى بيد امين وقصدا غرفتي نومهما وتحدثا كما يأتى

– هل استقر رايك ياوالدى على قتل رضا كما اتفقنا امس

– نعم ياولدي امين

– وكيف ياوالدى

الم تر ما حصل بصديقه منذ ساعة

— نعم لاحظت

— فصديقه الآن تكره رضا كرها شديدا

— ومادخل فصديقه في مسألة قتل رضا

— خطر لي ان اغريها فتدس لرضا السم اما في الطعام او في القهوة فيموت

— اتقبل منك اذا عرضت عليها الامر

— لاشك لما حصل لها من الغيظ من رضا

— اخشي ان تدور علينا الدائرة ونقع في شر عملنا

— وكيف ياولدي

— ربما اذا اطلعتها على سرنا تذهب وتشي بنا الى عمي فائق باشا فيهلكنا

— لاتهتم بذلك لاني لا أعمل عملا الا بعد التروى فاذا تأكدت انها شديدة الكره لرضا فاتحتها بما اتفقنا عليه من هلاكه

— افعل ماتريد ولكن متى تقابلها وتفاتحها في الامر

— سأقابلها بعد ان يرقد جميع من في السراي

وانقطع الحديث بين الشقي وابنه فتطلع الخادم من

ثقب المفتاح ليعلم السبب فرأى أحمد افندي يضع التبغ في غليونه وأشعله

*
* *

أما صديقته فلما طردت من الغرفة خرجت وهي تحرق الارم من الغيظ

وكنت ألاحظها فوجدت وجهها قد شابه الموتي اصفرارا

فسارت الي غرفتها وهي تتوعد سيدي رضا بكل مكروه حتى لو تسنى لها لهجمت عليه وفتكت به ودخلتها وأقفلت وراءها الباب

وبقيت مستيقظة حتي منتصف الليل فسمعت نقرا على باب غرفتها فسألت من الطارق

فاجابها صوت افتحي انا أحمد

ولما انها عالمة بالبغض والنفور الحاصل بين سيدي رضا وأحمد أفندي قامت الى الباب وفتحته

فدخل أحمد افندي فاقفلت الباب وراءه بحذر وبعد ان جلسا بجانب بعضهما دار بينهما الحديث الآتي

ـ اخبرني يا سيدي لماذا اتيتني في وقت مثل هذا

ـ لاهنيك بما نلتيه من الضرب

ـ ما معنى هذا الكلام

ـ اعكسي المعنى تفهمي فقد كدرني ما حصل لك من الاهانة لاسيما وقد طردوك من رئاسة الجواري وجعلوك غسالة تغسلين الثياب

لك الشكر لما تظهره نحوي من اللطف والرافة وليتني قادرة على مكافأتك

ـ سأجهد النفس كي تعودي الى وظيفتك فلا تتكدري

ـ هذا من المستحيل ورضا على قيد الحياة ولا اتمكن من العودة الى وظيفتي الا بموته

ـ هل تظنين ان رضا يمانع اذا ذهبت الى اخي فائق باشا غدا ورجوت بان يعفو عنك ويرجعك الى ما كنت عليه

ـ لاشك ووالده لا يمتنع عن اجابة طلبه لان قد ظهر لي اليوم بانه صاحب الامر والنهى

ـ لا اصدق ذلك

أؤكد لك انه لو اراد طرده والدها طرده أما سمعت

قوله له

ياظالم وكيف انه امسك بيدي ولده واراد ان

يضربه لولا اذ دخل الوزير الحرم

بقاءه - اذن في الدائرة خطر على من فيها فيلزم

ان ندبر على اخراجه منها

- كيف ندبر على اخراجه وهو الامر الناهي

- اذن فيلزم ان نحمل الاهانة فلاخلاص لنا الا .

- أراك توقفت عن اتمام كلامك فانا اكمله الا بموته

أليس كذلك

- هل يخطر على بالك قتله

- اني بت اتمني له الموت عاجلا لما أصابني منه اليوم

- وكيف تقتلينه

اذا أتيتني ببعض السم في زجاجة فاني اغرى

خادمته الخصوصية توحيدة فتضعه له في القهوة

وان لم تأتني بالسم فاني اهجم عليه غدا واقبض على

عنقه بكلتا يدي ولا انفك عنه حتى تخرج روحه ولا اهتم

بعد ذلك ان عشت أو مت

اني مستعد لمساعدتك ايتها العزيزة ولكن هل متيقنة ان توحيده تطاوعك او تفشي السر فنهلك معا

ـ كلا لا تهتم من قبيل ذلك فان توحيده تسفك دمها حبا بي

ـ مادمت واثقة بها فاني غداً في مثل هذا الوقت آتيك ببعض من السم في زجاجة واعلمك كيف تستعلمينه ولكن الحذر من ان تخبري توحيده بان لي دخل بذلك

ـ لا توص من هي احرص منك

ـ اذن فالى الغد فاني ذاهب الآن الى غرفتي

---

## الفصل الخامس عشر

### اجتماع رضا بعين الحياة

في صباح اليوم الثاني استيقظ سيدي رضا ووالده مبكرين وقصدا غرفة محمود القهوجي فوجداه قد تقدم في الصحة

فاظهر سيدي نحوه كل اسف لما فعله معه واستسمحت فدمعت عينا الخادم المسكين وقال

لست ياسيدي الا عبدكم فان اودتم لي الحياة فهذا فضل منكم

أما سيدي الوزير فانه التفت الى الطبيب وقال

مكافأتك عظيمة ياسمعان حتى نال محمود الشفاء التام

قال ذلك واخذ بيد ولده وخرجا فقصد سيدي الوزير سراي الولاية لمقابلة الوالي

وأما سيدي رضا فانه دعاني اليه وقال

اذهب الى سراي المشير وقابل جوهر اغا واخبره بأني سأذهب لمقابلة عين الحياة في الساعة السابعة مساء

ثم تركني وسار الى اشغاله

*
* *

في الساعة الرابعة بعد الظهر بينما كنت في غرفتي سمعت نقراً على الباب ففتحته فرأيت سيدي رضا يشير لي بان اتبعه

فتبعته بسرعة الى غرفته الخصوصية فدخلناها واقفلنا
الباب

فقال سيدى رضا

هل قابلت يافيروز جوهر اغا واتفقت معه

فاجبته بالايجاب

قال ـ اذهب وابتاع لنا اطيب الروائح العطرية وضعها في صندوق صغير مزخرف تأتي به من احد المحلات وعد الي كى نحملها مع التاج هدية الى « ملاكي الطاهر »

فلبيت طلبه وقصدت السوق فاتيته بمطلوبه وحملنا التاج وسرنا قاصدين منزل المشير

* * *

هناك في حديقة قصر المشير بين الورد والازهار وقفت الفتاة البديعة الجمال عين الحياة ورفقتها والدتها في انتظارنا ووقف جوهر اغا على باب السراى كي يستقبلنا

فاذ وصلنا سار بنا الى الحديقة نخترق صفوفا

من الاشجار تحمل فاكهة ورياحين اعبقت رائحتها في الحديقة فكانت كعبير المسك حتى وصلنا بالقرب من مظلة تتدلى بجانبها عناقيد العنب فوجدنا عين الحياة ووالدتها لابستين ازارهما ووجهيهما مغطيان «باليشمك» وواقفين وللخجل على وجهيهما دلائل

فتقدم سيدي رضا من والدة عين الحياة وقبل يدها ومد يده وصافح حبيبته وهو يشبع النظر منها «لاشك» فانه رأى جمالا نادراً يبهر الناظر ويأخذ بمجامع القلوب فوقف امامها حائراً برهة كانت في خلالها ترمقه والدتها بعين المسرة

اما عين الحياة فانها خجلت وتلون وجهها بما يشابه الجلنار ورمت بنظرها الى الارض وسحبت يدها منه بلطف

واني لقاصر عن وصف تلك النظرات السحريه وعن ماتكلم به الحبيبان بالنظر لا بالكلام لاني لست عاشقا ولم اعشق

وبعد ان شبع سيدى من النظر الى عين الحياة

التفت الى والدتها وقال

اسمحي لي ياسيدتي بان اكلل رأس خطيبتي بهذا التاج بيدي

فابتسمت الهانم دلالة على الموافقة

فأخذ التاج من يدى وبريق حجارته الكريمه يلمع في ظلام تلك الليلة فيضيء كالشمس ورفعه بتأن ووضعه على رأس عين الحياة وقال لها

اقبلي ياعزيزتي هذا التاج عربون الخطوبة

فامسكت عين الحياة يده وقبلتها دلالة على الشكر

وتصور ماحصل لنا من السرور وما شمل فؤادنا من الفرح اذ بوضع ذلك التاج على رأس عين الحياة وقبولها اياه دلالة على تمكن روابط المحبة بينهما

وامسكت الهانم بذراع سيدى رضا وابتعدت به عن عين الحياة وجوهر اغا قليلا وقالت له

بلغني ياولدي انك اتيت بجارية جميلة من الاستانة ويرغب والدك ان يزوجك بها فهل هذا اكيد

قال ـ صدقتي ياسيدتي فقد اتيت بجارية جميلة

ولكني لم افكر مطلقا في الاقتران بها

لانه لن يشغل قلبي غير حب ابنتك عين الحياة ولن

اتخذ لنفسي زوجة غيرها

ولكن عسى ان سيدي المشير لا يتوقف في قبولي

زوجاً لابنته

قالت لا تفكر في ذلك وقبل ان يفاتح والدك

زوجي في هذا الامر بيوم اخبرني حتى اكلمه في هذا

الشأن والزمه بالقبول

ثم افترقنا عنهما وسار جوهر اغا امامنا يدلنا حتى

خرجنا من السراي وقصدنا منزلنا

وكانت قد صارت الساعه العاشرة وشعر اصحابنا

بالنعاس فقال كاظم باشا

اجل الحديث يافيروز الى غد

***

في صباح اليوم الثاني اجتمع الاربعه في مكانهم

واخذ فيروز اغا يسرد عليهم ما يأتي

قال فيروز

فلما كان صباح اليوم الثاني لاتفاق احمد افندي وصديقه على هلاك رضا خرج الاول من السراي وقصد احد مخازن العقاقير الطبيه فلنتركه يسعى في استحضار سما لهلاك ابن اخيه ولنرى ماذا فعلت صديقه للانتقام من رضا

في ذلك اليوم استيقظت الشريره ولكنها لم تخرج من غرفتها مدعية انها منحرفة الصحة حتى لا تلزمها سيدتي بغسيل الاواني

ودعت احدى الجواري وطلبت منها أن تدع اليها توحيده خادمة سيدي رضا ونازك

فلبت الجارية طلبها وبعثت بتوحيده اليها فدخلت هذه على تلك التي كانت رئيسة الجواري وهبطت من مركزها الى غسيل الاواني والصحون في المطبخ وحيتها وقالت لها

كيف انت الآن ايتها الاخت

فأخذت صديقه تبكي خبثا ودهاء منها وشكت لها ما اصابها من الم الضرب وما الحقها به سيدي رضا

من الاهانة

فكانت توحيدة تسليها وتخفف عنها ما ألم بها من الكدر

فنشفت صديقة دموعها الكاذبة والتفتت الى صديقة وقالت

كيف حالك ياعزيزتي مع رضا بعد حضور تلك الجارية الجميلة

فقالت توحيدة ـ أتعنين بها نازك

أجابت — نعم فقد كادت تذهب بعقله لما هي عليه من الجمال

قالت — اني لا القى منه الا لطف نادر

فنظرت اليها صديقة بمكر ودهاء وقالت

ألا تغارين منها

فاجابتها بتعجب

ولماذا اغار منها ياعزيزتي

قالت آه يامكارة انك تنكرين علي مع اني قرأت ذلك في وجهك

أما كنت تخشين انه يتخذك محظية له فكيف

لا تغارين منها قد سلاك والتفت اليها

وكانت توحيدة على جانب عظيم من الحكمة والاخلاص في الخدمة لسيدي رضا

فاندهشت من كلام صديقة ولكنها فطنت ان لا بد ان مخاطبتها ترمي الى قصد في كلامها وكي تعلم سر المسألة جارتها في حديثها

فقالت وقد تنهدت

وماذا تفيد الغيرة اذا كان سيدي رضا هو السيد المطلق ويفعل مايريد

فارجو منك ان لاتزيدي آلامي فكفاني صده وهجره لي

قالت ـ هل تتركيه يفوز بمرغوبه وتنال نازك منه مشتهاها ولاتحركين ساكنا

أجابت — وماذا افعل ياعزيزتي صديقة

قالت — حقا انك مجنونة . لو كنت مكانك لما صبرت

أجابت — أنا صابرة بالرغم عني

قالت ـ آه لو كنت مكانك لما تركته يقترب منها

فسكتت توحيدة قليلا وعيناها تجولان في وجه
صديقه كانها تريد ان تقرأ ضميرها وقالت لها

ماذا كنت تفعلين لو كنت مكاني ايتها العزيزة

أجابت وفي عينها بريق مخيف

كنت اقتله ولا أهتم بعد ذلك بالحياة

وما كادت تفوه صديقة بهذه العبارة حتي شعرت
توحيدة برعشة وخوف على حياة سيدي ولكنها صبرت
لتعلم النهاية وقالت

ألا تعلمي ان المحرمات قتل النفوس

فقهقهت صديقة وقالت

آه يامسكينه لا يا توحيدة انك لا زلت مغفلة هل
تؤمنين بما يسمونه حراما وحلالا

اجابت ماهذا الكفر ياعزيزتي ألا تخافين غضب الله

قالت ضاحكة

وكلامك هذا أيضاً من نوع التغفيل

فنظرت اليها توحيدة وهي تقول في نفسها

يجب الحذر من هذه الخبيثة التى لا تخشى غضب الله

وعادت صديقة الى الكلام وقالت

اعلمي ياعزيزتي توحيدة ان لا اله في الوجود وانما

العلماء الاقدمين لذين يسميهم البشر بالانبياء والاولياء

يدعون ذلك حتى يخوفونا ليس الا

اذ لووجد اله عادل كما يدعون كما جعلنى أنا فقيرة

أباع وأشترى بالمال واسيادى اغنياء يستعبدوني كيفما

أرادوا

هذا ويدعون بوجود جنة ونار في العالم الاخير

والحقيقة ان الجنة والنار في هذا العالم ولا يكون

نصيب الاولى الا كل شجاع وأما الثانية فنصيب

كل جبان

لانه كما يقول المثل « من يخاف من العفريت

يطلع له

فاشمأزت نفس توحيده من صديقه ولكنها خوفا

على حياتها لم تظهر اشمئزازها بل قالت

مالنا ولهذا الكلام فاخبريني كيف العمل في ابعاد

نازك عن رضا لان الغيرة تملكت مني

فقالت صديقة بخبث

مسكينة ياتوحيده أتظنين انه اذا ابعدت رضا عن نازك يعود اليك كما كنتما

كلا فانه لو كان فيه ذرة من الميل اليك لما كان أتى بنازك وفضلها عنك

قالت — اني أكاد اجن من شواهدك القاطعة ياعزيزتي صديقه وقد زرعت في البغض الى رضا فبت اطلب الانتقام منه

فلمعت عينا صديقة سروراً لظنها انها فازت في ايقاع العداوة بين توحيدة وسيدي رضا ولحظت ذلك توحيدة

ولكنها اظهرت البلاهة فقالت صديقة

نعم يجب ان تنتقمين منه

قالت كيف انتقم منه

اجابت ـ نضع له السم في القهوة فيشربها ويموت

فاصفر وجه توحيدة واستعاذت في سرها من

شر صديقة ولكنها قالت

واذا علم سيدي الوزير باننا الواضعان لولده السم فانه يهلكنا

أجابت — لا تخافي فقد اخذت الاحتياطات اللازمة حتى لا يعلم بما نفعله احد

فما عليك حين طلبه القهوة الا ان تضعي له السم فيها وبعد ان يشربها تغسلي الفناجين فيزول أثر السم فلا احد يعلم من يكون الفاعل

قالت ولكني لا اتجاسر على امر مثل هذا

فنظرت اليها نظرة مخيفة ارعبتها وقالت

اذن فانا الذي يقوم بهذا العمل

قالت ولكن كيف تتوصل الى ذلك وهو لا يقبل أن تخدميه

اجابت — سأعمل جهدي في التدبير على هلاكه اذا رفضت ان تضعي له السم في القهوة

فخافت توحيدة على سيدي رضا من شر صديقة ورأت ان تقبل بما عرضته عليها ظاهراً وتدبر على نجاته

سرا فقالت

انى لم اتوقف عن مساعدتك وقبول ماعرضيه على الا لخوفي من افتضاح الامر فلا ألقي الا الهلاك جزائي

فقالت صديقه وهي تضحك

قلت لك انك اذا غسلت الفناجين بعد شرب القهوة لا يعلم احد انك القاتلة له لاسيما وقد خدمتيه من زمن مديد

وكل من في السراى يشهدون بانك كنت محبة له غيورة على مصالحه

قالت — صدقت فأين السم أيتها العزيزة

أجابت ـ سآتيك به هذه الليلة وغدا صباحا اسلمك اياه

قالت وكيف تأتين بالسم

اجابت ـ سيأتيني به احمد افندى

قالت ـ وكيف تفاتحيه في هذا الامر

اجابت لا يهمك ذلك فقد اتفقت معه وسيحضره هذا المساء

قالت — وهل علم أحمد افندى بأني سأشترك

معك في القتل

أجابت بخبث

كلا

قالت — ارجوك الا تخبره بما اتفقنا عليه

أجابت — كلا لا تخشي بأسا

وبعد ان تم بينهما الاتفاق كما ذكرنا خرجت توحيده

من غرفة صديقه وقصدت غرفتها

## الفصل السادس عشر

### ﴿ توحيده عرضة للافكار ﴾

لما خلت توحيده بنفسها في غرفتها استسلمت

للافكار واستحوذت عليها الهواجس

كانت تفكر في ما سمعته من الخادمة الخائنة صديقه

بشأن هلاك سيدها رضا فخطر لها ان تخبره بما دار بينهما

ولكن خشيت ان لا تقدر على اثبات قولها

لا سيما اذا انكرت صديقة فتقع عند ذلك تحت طائلة

شرها فتنتقم منها

واذا لم توافقها على هلاك سيدها رضا فان صديقه تعمل على هلاكه باى طريقة وتنتقم منها ايضا لانها اطلعت على سرها

فوجدت نفسها في كلا الحالين عرضه للخطر وكي تخلص من صديقه عزمت على ان تأخذ منها السم ولكن دون ان تستعمله فلربما تظهر انه لم يؤثر في سيدها فترتدع وتترك مسألة الانتقام منه فتكون هي قد سلمت من الجهتين وانقذت سيدها رضا

فارتاحت الى هذا الفكر ولكنها ارادت ان تعلم اين يجتمع احمد افندي بصديقه وان تسمع مايدور بينهما من الحديث فعولت على انها متى فرغت من اشغالها في المساء واضطجع كل من في السراي تبحث جهدها لتعرف مكان اجتماعهما ولما امسى المساء ورقد في فراشه كل من في السراى خرجت توحيده من غرفتها بخفة وحذر وقصدت باب غرفة صديقه وتطلعت من ثقب المفتاح فرأت صديقه جالسة ولوائح القلق بادية على وجهها

وهي كذلك سمعت وقع أقدام وكان بجانبها مقعد كبير فاختبأت تحته وعينها تراقب المشي فرأت احمد افندي آتيا بسرعة وبملء الحذر

وتقدم من باب صديقه ونقر عليه ففتحته له فدخل واقفلته وراءه فجرجت توحيده من تحت المقعد ووضعت عينها على ثقب المفتاح فرأت احمد افندي جالساً بجانب الشقية وسمعتها تقول له

هل احضرت السم

اجابها ـ نعم هاهو

ثم مد يده الى جيبه واخرج ورقة داخلها السليماني السم القتال وناولها اياه وقال لها

ماذا فعلت اليوم

اجابته ـ احضرت توحيده واغريتها لتهلك رضا واتفقت معها على ان تضع له السم في القهوة

قال ـ اذاً قبلت

اجابت ـ نعم وقد اتفقنا

قال ـ مادام الامر كذلك فسلميها ورقة السم

وسيكون فرحنا عظيم حين تفارق روحه الجسد

قال ذلك وهم بالخروج من الغرفة فأسرعت توحيده واختفت تحت المقعد فخرج احمد افندي قاصداً غرفته

اما توحيده فذهبت الى غرفتها واجهدت النفس كي تنام ولكن عبثا حاولت فلم يغمض لها جفن

وبقت تسبح في بحار من الافكار تلطمها امواجها الزاخرة حتى لاح الفجر

*
* *

لما بزغت الشمس وبرزت من مخبأها الى الكون أخذ الخدم والجواري في الخروج من غرفهم الى عملهم الا صديقه فانها بقيت في غرفتها مدعية المرض تنتظر توحيده بفارغ الصبر

وبينما هي كذلك سمعت نقراً خفيفاً على باب غرفتها ففتحته فدخلت توحيده ولكنها كانت صفراء باهتة اللون

فقالت لها صديقه

اتيت في الميعاد

اجابتها بصوت مرتجف

نعم اتيت فاين السم

قالت ـ هاهو

ثم اخرجت من بين الفراش ورقة صغيرة وسلمتها اياه

فاخذتها توحيده بيد مرتجفة وهمات للخروج

فقالت لها صديقه كما اتفقنا يا توحيده

أجابتها — نعم كما اتفقنا

قالت ـ سأكون عندك في هذا المساء بعد تناول الطعام

وخرجت توحيده من غرفة صديقه حتى لا يلحظ احد باجتماعهما فيطلع على سرهما فيقفان في شر عملهما

وقصدت غرفتها وفتحت الورقة فرأت فيها مايشابه «السكر النبات» الناعم

فقالت بتعجب

أهذا هو السم القتال

ثم خطر لها خاطر تهلل وجهها سروراً

خطر لها ان تأتي بورقة وتضع فيها قليلا من السكر

النبات وتخفي ورقة السم في صندوقها

حتى اذا أتت صديقة تصنع القهوة امامها ثم تخرج ورقة السكر النبات وتضع منه في القهوة كي توهمها انها تضع السم

ارتاحت افكارها ودب النعاس في عينيها لاحتياجها اليه فاستيقظت على فراشها واستغرقت في النوم

*
* *

في صباح ذلك اليوم خرج احمد افندي من غرفته وبحث عن ولده اذ كان قد استيقظ مبكراً

فوجده في السلاملك الخارجي فنظر اليه بابتسام وقال

اتبعني يا أمين

فقام امين وسار في اثر والده حتى دخلا غرفة جلوسهما الخصوصية في السلاملك الخارجي

وكان احد الخدم يكنس السلاملك فسمع همساً داخل غرفة احمد افندي فتقدم من الباب وتنصت فسمع احمد افندي يضحك ويقول لامين

لقد نجحنا ياولدي

فقال امين ووجهه قد شابه الموتى اصفراراً

هل أتيت بالسم

اجابه — نعم واعطيته الى صديقه وهذه اعطته الى توحيده لتضعه الى ابن عمك رضا في القهوة فيشربها وتفارق روحه الجسد فتنال ما انت طالبه

قال — ألا خوف علينا من توحيده ياوالدي

أجاب — كلا فقد اتفقت مع صديقه على هلاكه

وتصادف ان الخادم الذى كان يسمع حديثهما تنحنح فتنبه الخبيث احمد افندي الى وصول من يتنصت عليهما

فقام الى الباب وهو يرتعد خوفاً وفتحه وتطلع ذات اليمين والشمال ولما لم يجد احد اقفله ثانياً ورجع الى مقعده وهو يكذب اذنيه

وكان الخادم قد توارى عن نظره تحت المقعد فلم يره احمد افندي فلما اقفل الباب خرج من تحت المقعد وقد اضمر لهما الشر

واما احمد افندي فانه اخرج غليونه واخذ يدخن

ويكمل لولده مادار بينه وبين صديقه من الحديث بانيا له بموت رضا قصوراً من الامال

---

## الفصل السابع عشر

﴿ لاشك انه يظنني خائنة مع اني والله اعلم بريئة ﴾

في ذلك اليوم بينما كان احمد افندي يحدث مع ابنه بشأن هلاك رضا

وبينما كانت صديقه تدبر لهلاك سيدها

كان سيدي رضا يتنزه بين الحقول الخضراء لان ذلك اليوم كان يوم الجمعة ودواوين الحكومة مغلقة

وكان ذلك اليوم من ابهج ايام الربيع واجملها فالحقول اكتست حلة سندسية والورود فتحت والاشجار ازهرت ولعبت مع النسيم وتمايلت وجرت ينابيع المياه بينهما كسلاسل من فضة تسقيها اذا عطشت سار مع خدمه بين تلك الحقول يتنزه خالي البال حتى وصل الى املاكه فاخذ يدور على المزارعين يلاطف هذا ويمازح ذاك حتى اقبل المساء فرجع مع خدمه الى السراي وهو

منشرح الصدر

دخل السراي وسار يريد دخول الحرم فاعترضه

احد الخدم وقال

اسمح لي ياسيدي بان اخلو بك في احدى الغرف

فسأله سيدي رضا قائلا

ما الخبر

قال — أريد ان احدثك بضع دقائق

ولما كان سيدي رضا تعبا من كثرة التجول في

أراضيه قال له

اجل ذلك الى الغد

قال الخادم

كلا لان الامر جلل

قال ـ هيا اذن الى الخارج

وسارا حتى خرجا من السراي فشرح الخادم ما

اتفق عليه احمد افندي وصديقه من هلاكه وكيف أوعزا

الى توحيده لتدس له السم في القهوة

فسأله سيدي قائلا

من أخبرك بذلك

أجاب ـ لقد سمعت ذلك بأذنى

وحدثه كيف انه كان يقف على باب غرفة احمد افندى ويسمع مايدور بينهما حتى قال

وسينفذان هذا الامر الليلة

فقال سيدى وهو يهز رأسه

اكتم الخبر حتى أحقق المسألة

ثم تركه ودخل السراى وقصد الحرم وهو مشتت الافكار

ولما آن وقت العشاء تناول هو ووالديه ونازك الطعام وخرج سيدى الوزير الى السلاملك لمقابلة زائريه المشير والوالى وبقى سيدى رضا مع والدته ونازك

وبعد برهة أتت توحيده تحمل صينية عليها فناجين

فقام سيدى كمن أصيب بجنون وتقدم من توحيده وأمرها بأن تشرب القهوه

ولحظت الخادمة المسكينه الامينة ماخامر سيدى

رضا من الظن خوفا لئلا يظن بها سوءا شربت الفنجان تلو الآخر ونظرت اليه بتخلل وطهارة قلب كأنها تقول له

أتأكدت أني بريئة

ثم رجعت الى المطبخ تحمل الآنية

وبقي سيدي رضا مندهشا مما حصل . الخادم أخبره بأن احمد افندي وصديقه متفقان على هلاكه وانهما أوعزا الى توحيده كي تدس له السم

ولكن تأكد له بعد أن شربت الجارية القهوة ان الخبر كاذب ومع ذلك فبقي مشككا

فقالت له سيدتي الهانم وهي فى انذهال مما رأت

ما السبب فيما فعلت ياولدي

فبقي ساكتا كانه لم يسمعها فاعادت عليه السؤال

فاجابها وهو يرتجف من الغضب

حياتنا في خطر فقد دبر احمد افندي وصديقه على هلاكي وأوعزا الى توحيده لتنفذ الامر بان تضع لنا السم فى القهوة

فاصفر وجهها وقالت

لا أظن ياولدي ان توحيده تفعل هذا الامر

لانني اعرفها أمينة ومخلصة لنا

فاجابها ـ أنا خائف من وجود دسيسة داخل السراي لهلاكنا فأرجوك ان تكتمي الخبر حتى اعرف الحقيقة

فقالت له بحنو

أصرف عنك هذه الافكار . فمن يتجاسر على عمل مثل هذا لا يكون جزاء فاعله الا الموت

لا سيما وان جميع الخدم والجواري يحبونك لما تظهره نحوهم من الشفقة والرأفة

وأما صديقه وان تكن تكدرت مما أصابها منك ولكنها لا تجسر على هلاكك خوفاً على حياتها من الموت

قال ـ ربما كان كلامك ياوالدتي في محله ولكن يجب على الانسان أن يأخذ حذره ويحقق حتى لا يظلم احداً لاننا في زمان بات الاخ يسعى في هلاك أخيه

ثم التفت الى احدى الجواري وامرها بأن تدعو بحر الزين وزهره وامرهما بعمل القهوة بعد غسل الآنية جيداً وعين زهرة لخدمته وبحر الزين لخدمة نازك

***

وضعت توحيده آنية القهوة في المطبخ وسارت الى غرفتها وقد تولاها الكدر والخوف وجلست على فراشها وهي تلوم نفسها لانها لم تخبر سيدي رضا باتفاق احمد افندي وصديقه على هلاكه

تأكد لها ان سيدي رضا عالم بسر المسألة وانها هي التي ستلام فاذرفت الدمع واخذت تحدث نفسها قائلة

لاشك انه يظنني خائنة مع انني والله اعلم بريئة . لو كنت اخبرته بما اتفق عليه احمد افندي وصديقه لكان اوفق ولما شك بي ولكني سلمت امري الى المولى فهو سبحانه وتعالى يخلص كل بريء

وبينما هي في تصوراتها سمعت اقدام تقترب بحذر نحو غرفتها

ثم سمعت نقرا خفيفا على الباب فقالت من هذا

فاجابها صوت من الخارج

انا يا توحيده افتحي الباب

فقامت توحيده الى الباب وهي تستعيذ من شر صديقه

وفتحته فدخلت الشقية واقفلته وجاست بجانبها وقالت

أرأيت كيف فسد علينا الامر ياعزيزتى توحيدة

فاجابتها توحيدة مموهة

كيف فسد الامر ياعزيزتى وقدرأيت بعينك انى وضعت له السم في القهوة

قالت ـ لم أشك في ذلك بل ظهر لى ان لا مفعول للسم الذى أتى به احمد افندي

فاظهرت توحيده الاندهاش وقالت

وكيف علمت ان لامفعول له

اجابت ـ لان رضا لايزال حيا ولو كان لذلك السم مفعول لكنت تسمعين البكاء والنواح في أنحاء السراي

فقالت توحيدة لنفسها

الحمد لله انهما لم يلحظا مافعلته

ثم التفتت الى صديقة وقالت

أظن ان احمد افندي لعب معك ملعوبا أو هزأ بك

فابتسمت صديقة بغيظ وقالت

كنت اظن ذلك ولكن احمد افندي يقول ان السم فتال وان الاجزجي قال له لو يشرب عشرة انفس مقدار ماوضعتيه في القهوة يموتون لا محالة

وقد كان يظن فيك السوء ولكني اخبرته باني كنت موجودة ساعة وضع السم في القهوة

فانذهل وقال لي

لربما يكون ذلك السم قديما فسد وذهب مفعوله ولكن لا تكدرى فسأذهب غدا وآتي بسم قتال من احد اصدقائي واعطيك اياه فتسليه الى توحيده

فاظهرت توحيدة السرور وقالت

وهل يقوم احمد افندي بوعده ويأتيك بالسم

اجابت كيف لا وموت رضا يهمه

فارادت توحيده ان تعرف اهمية موت سيدي رضا لدي احمد افندي فقالت — ولماذا يهمه قتل ابن اخيه

اجابت — نعم لقد اتفقنا . فالى الوداع الآن أيتها العزيزة لئلا يلحظ احد مانحن عليه

## الفصل الثامن عشر

### ( افشاء السر )

في صباح اليوم الثاني خرجت توحيده من غرفتها وقد صممت على ان تخبر سيدي رضا على ماعزم عليه احمد افندي وصديقه

فلما اقتربت من غرفته رأته خارجا منها فتقدمت اليه كي تقبل يده ولكنه لم يلتفت اليها بل صار قاصدا اشغاله

فشعرت الجارية الامينة بنوع من القساوة في معاملته لها بخلاف عادته ولكنها وجدت انها الملومة لانها هي التي اجبرته على ذلك مع ماهو مشهور عنه من الطباع الرقيقة واللطف النادر فصممت على أنه متى أتى في المساء تشرح له المسألة وتبرئ نفسها كي تذهب من نفسه كل شك نحوها

ثم دخلت غرفته وأصلحت فراشه وخرجت منها وهي تذرف دموع الكدر والحزن على ما اصابها بسبب اهمالها

وبقت تشتغل كبقية الجوارى حتى رجع سيدى

رضا من الديوان وتناول الطعام وقصد غرفته كي ينام فاعترضته توحيده وقالت له

ارجوك ياسيدي ان تبقي باب غرفتك مفتوحا حتى اعود اليك وقبل ان تترك له وقتا للسؤال مرت كالسهم البارق واختفت فدخل سيدي رضا الغرفة وترك بابها مفتوحا وقال في نفسه سأعرف السر منها

ثم اخرج من جيبه سيكاره وأشعلها واخذ يدخن منتظرا قدوم توحيده

---

﴿تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس﴾

وفيه تتمة الكلام

---

﴿سيصدر العدد السادس في ١١ فبراير﴾